رعاية الله لنبيه و الثناء عليه ﷺ
دراسة في البناء التركيبي لسورة القلم

د. منى بنت فهد النصر
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

رعاية الله لنبيه والثناء عليه ﷺ
دراسة في البناء التركيبي لسورة القلم

د. منى بنت فهد النصر

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

تاريخ تقديم البحث: ١/ ٣/ ١٤٣٩هـ تاريخ قبول البحث: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٩هـ

ملخص الدراسة:

ينطلق هذا البحث في دراسته للبناء التركيبي لسورة القلم من القاعدة البلاغية العريضة التي تقول : إن الأسلوب أو البناء اللغوي للنص هو عبارة عن معانٍ وأغراض وأفكار أحسن الأديب صبها في قوالب لغوية مناسبة . وإن جمال العمل الأدبي لا يعود إلى ألفاظه ، وإنما إلى توخي معاني النحو وفق الأغراض التي تؤم كما يقرر الجرجاني(١) كما يرتكز ارتكازًا رئيسًا على صورة من صور التناسب بين البناء اللغوي للسورة ومقصودها وفق نظرية التناسب التي أرسى البقاعي معالمها ، والتي تؤكد أن كل جزئية في السورة إنما جاء اختيارها بالنظر لعلاقتها الوثيقة بمقصود السورة ، وقد سعيتُ من خلال هذه الدراسة إلى الوقوف على ملامح هذا التناسب البديع بين تراكيب السورة ومقصودها ، وأحسب أنها قد كشفت عن ذلك بما رسمته بأسلوبها ، وأحوال صياغتها ، وخصائص نظمها ، ودقائق تركيبها ، وبينت كيف أدته بآياتها الاثنتين والخمسين في نسق موجز ، ونظم معجز كما هو القرآن في كل أغراضه ومعانيه .

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني : ٨٧ ، ت : محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

المقدمة:

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، أحمده حمدًا كثيرًا طيبًا، وأصلي على من أحيا -بإذنه- أجيالا من الرمم، وعلى آله وصحبه وسلَّم، أما بعد:

فمنذ أن درجت في دراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم وخصائص لغته المعجزة والنفس تتشوف لدراسة سورة القلم وتتوق لبحثها، ذلك أنها أول سورة قرآنية واجهت أهل مكة وهم أرباب الفصاحة والبيان بالتحدي وإرهاصات التحدي حين افتُتحت بحرفٍ من الحروف المقطعة في مطلعها، ولكونها أول سورة قرآنية يتصدرها قسم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن سورة القلم تهدينا إلى الجو العام أول البعثة حين اشتد إيذاء المشركين للنبي ﷺ بداية الدعوة الجهرية، وثقل عليه ﷺ اتهامه بالجنون والسحر والكهانة، وهو المعروف بينهم بالصادق الأمين، فهو وإن كان نبيًا مرسلا يتلقى الوحي من رب العلمين فإنه بشر تخالجه مشاعر البشر، ويعاني وقع هذه الاتهامات الأليمة على نفسه، ففي سورة القلم وردت التهمة بأسلوب الغيبة: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ وفي سورة الحجر بأسلوب الخطاب ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ فالتهمة هنا ليست مقالة تناقلها قومُه وحسب، بل واجهوه ﷺ بها مع غاية الاستخفاف والتعنت والسفه ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يقول الرازي: ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون عن موسى ﷺ في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ

﴿٢٧﴾ وتسميته ذكرًا من باب التهكم به [1]، ولا يخفى وقعها على نفسه الشريفة.

منهج الدراسة :

لهذا عزمتُ على المضي قدما للكشف عن بعض الكنوز البلاغية لهذه السورة، والوقوف على ملامح هذه الرعاية من خلال ما ترسمه بأسلوبها وبنائها التركيبي [2] دراسة تحليلية نظمية منطلقة من القاعدة البيانية التي يقررها عبد القاهر في الدلائل من أن بلاغة الكلام إنما هي بلاغة النفوس والعقول التي أنتجته، وأن هذه الأبنية اللغوية التي ندرسها والتراكيب النحوية التي نحللها ماهي إلا أمارات وعلامات تهدي إليها، وأن جمال العمل الأدبي لا يعود إلى العناية بالصياغة اللفظية وحدها، وإنما إليها على أنها أوعية المعاني ؛ لأنها لامحالة تتبع هذه المعاني في مواقعها ؛ فإذا وجب أن يكون المعنى أولا في

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩/ ١٥٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط ، ت : د)

(٢) وأقصد به (النظم التركيبي) وقد ورد عند برهان الدين البقاعي وتابعته في ذلك بعثًا للحياة في مصطلحاتنا البلاغية. يقول في معرض حديثه عن أهمية علم المناسبة : « وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.. » نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي : ١/ ١٠ -١١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م. ويقصد بالنظم التركيبي النظم الذي أساسه النحو ، والذي تحكم مكوناته العلائق النحوية ، والآيات القرآنية وإن تكونت من جُمل عدة ، فإنك إذا تأملتها رأيت العلائق بينها علائق نحوية ، بل إن بعض السور ليست إلاَّ جملة نحوية تحتضن في سياقها جملا صغرى كسورة العصر مثلا ، والبقاعي في تحليله للنظم التركيبي يربط دلالات التراكيب وسمات الأسلوب في السورة بالسياق القريب والبعيد للجملة ، وبالمقصد الرئيس من السورة فيحقق الوحدة العضوية للسورة ، وهو المعنى الذي أردته. ينظر : الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم ، د. محمود توفيق سعد : ٢٤٨ ، الناشر ومكان النشر (من دون) ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ.

النفس وجب أن يكون اللفظ الدال عليه أولا في النطق، وهو ما عبر عنه عبد القاهر بتوخي معاني النحو وفق الأغراض التي تؤم [1] وأن اختيار الألفاظ وحدها لا يكفي في تبين البلاغة والإعجاز وإنما لاتصال ما قبلها بما بعدها؛ بحيث « إذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:٤] أنها في أعلى رتبة من الفصاحة لم تُوجبْ تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها (الرأس) معرفًا بالألف واللام ومقرونًا إليهما (الشيب) منكرًا منصوبًا » [2] وهكذا.. وقد سعيتُ جاهدة إلى ملاحظة المعاني والإشارات التي تكمن وراء تلك الأبنية، وخلف تلك الأحوال.

وقد انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث حسب موضوعات هذه السورة :

المبحث الأول – دراسة البناء التركيبي للمطلع (إظهار علم النبي ﷺ والثناء عليه والتعريض بأعدائه)

المبحث الثاني – دراسة البناء التركيبي للمعقد أو القلب (تهديد الأعداء وضرب المثل بأصحاب الجنة)

المبحث الثالث – دراسة البناء التركيبي للمقطع أو الختام (مجادلة الأعداء والأمر بالصبر وضرب المثل بيونس عليه السلام)

بعد أن مهدتُ له ببيان مقصود السورة، ونزولها، ومناسبتها لما قبلها.

الدراسات السابقة :

لم أجد – حسب علمي – دراسة بلاغية تحليلية لسورة القلم تنطلق من بنائها التركيبي، وتستخلص الفوائد ولطائف المعاني البيانية الكاشفة عن مدى

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني : ٨٧.
(٢) السابق : ٤٠٢ -٤٠٣.

رعاية الله لنبيه واحتضانه له وتربطه بهذا المقصود، وإنما دراسات اتجهت للدراسة التحليلية العامة لجميع الجوانب البلاغية للسورة، أو وفق منطلقات أسلوبية تقاطعت مع بعض أجزائها، لكنها لم تعالج فكرة البحث، وهي تناسب تراكيب السورة مع مقصودها، وهو الهدف الذي اختُص به هذا البحث، ومن هذه الدراسات :

- **آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن الكريم** : دراسة بلاغية تحليلية، خالد القرني، رسالة تخصص، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، ١٤٢٤هـ، وقد أحصت هذه الدراسة آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن كاملًا ودرستها دراسة بلاغية تحليلية، ولم تقف عند سورة القلم على الإطلاق !

- **الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول ﷺ**، دراسة بلاغية أسلوبية، عدنان الجميلي، بحث الدرجة العالية، كلية التربية، جامعة بغداد، وهي كسابقتها لم تقف عند سورة القلم استقلالًا، وإنما اكتفت بالإشارة إلى ثلاث آيات فقط مع أنه قد نص في مقدمته أن الآيات موضع الدراسة قد بلغت عنده (١٢٤٦) وقد كانت مجالًا للتطبيق حسب الفن الذي يتناوله من فنون البلاغة وفق المنهج الأسلوبي بمستوياته الثلاثة : الصوتي والتركيبي والدلالي، وليست دراسة كلية منطلقة من الآية كما هو منهج هذه الدراسة.

- **جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم** لـ : د. عبد الرحمن بن رجاء السلمي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد (١٢)، ١٤٣٢هـ، وهذه اقتصرت على الجماليات الفنية لقصة أصحاب الجنة وخصائص التصوير للقصة القرآنية وفقًا لنظرية سيد

قطب في (التصوير الفني) دون بيان علاقتها بموضوع رعاية الله وتثبيته الذي هو فكرة هذه الدراسة.

والقول نفسه ينسحب على الدراسات التي تناولت السورة كاملة بالدراسة التحليلية لجوانبها البلاغية بشكل عام دون التركيز على إبراز فكرة هذه الدراسة، وهي :

- **الإعجاز البلاغي في سورة القلم**، هناء عابدين عبدالله، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٢٢) ٢٠٠٧ م، ويقع في أربع وخمسين صفحة. ومنهجها كما ذكرتْ في مقدمتها تناولُ الآيات بالتفسير أولًا مع ذكر المعنى الذي تدور حوله، ثم تحليلها بلاغيًا وفق مسائل المعاني البيان والبديع [١]، ويمكن عده تفسيرًا بلاغيًا للسورة، تختلط فيه المباحث البلاغية بمسائل النحو والتفسير كما أنها لم ترصد نتائج علمية في ختامها. [٢]

- **البلاغة القرآنية في سورة القلم – دراسة تطبيقية**، رمضان محمد محمود حسان، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد الرابع، العدد (٢٧)، ٢٠٠٩ م، ويقع في مئة وأربع صفحات. يذكر الباحث في مقدمته أنه درس السورة مبرزًا الجانب البلاغي، مظهرًا عظمة القرآن في هذا الجانب، وأن منهجه « ذكر مناسبة الآية لما قبلها، ثم ذكر المعاني اللغوية، ثم المعنى العام للآية، ثم ذكر ما ورد بها من فنون بلاغية وأساليب أدبية »[٣]

---

(١) ينظر : الإعجاز البلاغي في سورة القلم ، هناء عابدين عبدالله ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، العدد (٢٢) : ٢٤٩.

(٢) ينظر : السابق : ٢٩٧.

(٣) البلاغة القرآنية في سورة القلم – دراسة تطبيقية ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر ، المجلد الرابع ، العدد (٢٧) : ٢٠٢٢.

والتركيز على الفنون البلاغية وفق علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) مما يطبع هذا الدراسة ، فضلا عن إدارته موضوعات السورة حول **إثبات نبوة محمد ﷺ**.. يقول تحت عنوان (أهداف السورة ومقاصدها العامة) : « تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية ، وهي :

أ. موضوع الرسالة والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد ﷺ

ب. قصة أصحاب الجنة ؛ لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى.

جـ. الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وما أعد الله للفريقين : المسلمين والمجرمين.

ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو موضوع إثبات نبوة محمد ﷺ ، وهذه السورة علاجات تربوية للرسول بشأن مواقف المكذبين برسالته وبالقرآن »[1] وبذلك تبتعد عن موضوع هذه الدراسة ، كما أنه يخالف أكثر المفسرين الذين قرروا أن مدار السورة رعاية النبي وإظهار علمه — كما سيأتي -

كما أن نتائج الدراسة ركزت على اشتمال السورة على كثيرٍ من الفنون البلاغية موزعة على علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) فمن علم المعاني : القسم والحذف والوصل والفصل والاستفهام... ، ومن فنون البيان : التشبيه والاستعارة والمجاز وهكذا !

- **تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم** ، محمد مريني ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الرابعة والثلاثون ، الكويت ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م ، والهدف من هذه الدراسة كما صرَّح في مقدمته إلى استجلاء

---

(١) السابق : ٢٠٢٥.

الجوانب اللغوية والأسلوبية من خلال الشروح والموازنات ورصد الظواهر الأسلوبية وفق المستويات الآتية : المعجمي، والنحوي، والصوتي، والقصة، وقد وضح أنه وقف عند المستوى المعجمي ليكشف من خلال الشروح والمقارنات الدقة القرآنية في الاختيار، وفي الجانب النحوي تناول التراكيب النحوية المتصلة بالناحية الجمالية والفنية بحسب المباحث المعروفة في علم المعاني، وفي الجانب الصوتي درس الفاصلة والنظام الصوتي وتوزيعه على الأصوات في السورة، واجتهد في إبراز الخصائص الفنية للقصة عند تناوله للقصة كل ذلك من أجل الاقتراب من المناحي الفنية للسورة [1]، والحق أن له إضافة في الجانب الصوتي تُحسب له.

أما هذا البحث فمعنيٌّ بالكشف عن ملامح رعاية الله للمصطفى ﷺ ومواساته وتثبيته من خلال أسلوبها، وخصائص نظمها وبنائها التركيبي، وكيف استطاعت أن تؤديه على أبلغ وجه وأتم بيان، وقد بذلتُ الوسع في تتبع أسرار هذا التناسب بلاغيًا، ولطائفه البيانية بمزيدٍ من التأمل، وإنعام النظر، وأرجو أن أكون قد وُفِقتُ في تحقيق الهدف الذي سعيتُ إليه، وأسأل الله المغفرة عن التقصير؛ فما يجمل بمقتحم هذا الميدان الذي أفنى فيه الأولون والآخرون أعمارهم إلا أن يفعل كما فعلوا أو أن يسدد ويقارب.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاحُ.

والله المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) ينظر : تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ١٤ -١٦

التمهيد:

مقصود السورة :

إن آيات كلِّ سورة إنَّما يكون بينهما من التناسب والتجاوب والتآخي والتناغي ما يحقّقُ لها وحدة بيانيّة معجزة مُدْهِشةً، بل إنَّ تسمية القسم من أقسام القرآن باسم (سورة) تدلُّ على أنَّ كلًا منها يجمع آياته غرض رئيس وتربطها علائقُ داخلية وثيقةُ[1] ومجمل الأمر في هذا « أنَّ كلَّ سورة لها مقصدٌ واحدٌ يُدار عليه أوَّلُها وآخرُها، ويستدلُّ عليه فيها، فترتَّب المقدِّمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليلٍ استدلّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلمَّ جرّا، فإذا وصل الأمرُ إلى غايته ختِمَ بما منْه ابتدأ، ثم انعطف الكلامُ وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومَرَّ في غير الأوَّل منيع، فتكونُ السورة كالشجرة النضيرة العالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغرّ، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها »[2]

ويمكن تشبيه المعاني الجزئية في تلاحمها في السورة الواحدة كمثل أجزاء العضو الواحد من الإنسان.

---

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق سعد: ١/ ٨١ (المكتبة الشاملة كتاب آلي غير مطبوع) ١٤٢٤هـ.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: ١/ ١٤.

والمعاني الكلية في السورة كلّها تلتحم كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، ثم تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها، كما تشتبك الأعضاء بالشرايين والعروق والأعصاب من وراء ذلك كلّه يسري في جملة السورة في اتجاه معين، وتؤدى بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قواما واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية[1]. ومن هنا تأتي أهمية معرفة مقصود السورة. فإن هذا المغزَى الكُلِّيَّ والمقصودَ الرئيس هو مفتاح خزائن كلِّ سورة من لطائف المعاني، ورقائقها، وحقائقها، لأنَّه المهيمن على كلِّ عنصر من عناصر البيان في السورة، والطريق لإدراك وجوه التناسب فيها، يقول البقاعي « الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة »[2]

ويقول أيضا : « مَنْ حقَّقَ المقصودَ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ عرف تناسبَ آياتها وقصصها وجميع أجزائه، وبه ينكشف غامض المعنى وتتبين أسرار القصص المكررات وأنَّ كلَّ سورة أعيدت فيها قصة، فلمعنى ادعي في تلك السُّورة.. غير المعنى الذى سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنَّها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذى تكونت به القصة »[3]

---

(١) ينظر : النبأ العظيم ، د. عبدالله دراز : ١٥٥ ، الكويت ، ١٣٩٧ هـ.
(٢) البقاعي ، نظم الدرر : ١/ ١٤٩.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : ١/ ١٤.

ومن الجدير أن استكشاف المغزى والمقصود الكليّ في سورة يحتاج الى مصابرة ومدارسة فسيحة عميقة متكاثرة الروافد، كما يلزم التسلح بالمنهج المعين على استبصاره وإدراكه [1].

والمتأمل لمعاني سورة القلم يجد أن معظمها في الذبُّ عن النبي وتسليته ﷺ، ومواساته والثناء عليه وعلى المؤمنين، وتولي حرب أعدائه وذمهم، وتهديد كبراء قريش المغترين بأموالهم وأولادهم بأن يلحقهم ما لحق مانعي الزكاة من البؤس والقحط بعد الخصب والنعيم، وأمره ﷺ بالصبر على أولئك الذين اتهموه بالجنون، المتربصين به وبدعوته والإشارة إلى حال يونس في قلة الصبر.[2]

---

(١) وقد اجتهد د. محمود توفيق سعد في استخلاص هذه الروافد التي يمكن أن يُستقى منها المقصود، وتعين في استبصاره. وهي:

١. اسم السورة؛ فاسم كل سورة مترجم عن مقصودها كما يقرر البقاعي في قوله: « اسم كلِّ شئ تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدَّال بالإجمال على تفصيل ما فيه » نظم الدرر: ١/ ١٤.
٢. فاتحة السورة وخاتمتها.
٣. الخاتمة والمقاطع.
٤. تدبر الفروق البيانية بين المعانى الكلية المصرفة فى السور كالقصص.
٥. تَدبُّر الفروق البيانية بين المعاني الجزئية المصرفة في السورة.
٦. المعجم اللغوي للسورة

ينظر: العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق سعد: ١/ ٨١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٥٨ تفسير التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس (ط، ت: د)؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي: ١/ ٤٧٦، ت: محمد النجار، دار الباز، مكة (ط، ت: د)؛ في ظلال القرآن، سيد قطب: ٦/ ٣٦٥٣، دار الشروق، الطبعة ٢١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م؛ المختصر في التفسير، جماعة من علماء التفسير: ص٥٦٤، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧هـ. وفي تفسير القرطبي أن معظم السورة في الوليد بن المغيرة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٢١٤، ت:

يقول البقاعي في بيان مقصودها رابطًا أولها بآخر سورة الملك : « مقصودها إظهار ما استتر، وبيان ما أبهم في آية ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك:٢٩] بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته

العلم الذي هو النور الأعظم والتخلق بالفرقان، وأدل ما فيها على هذا الغرض (ن) وكذا (القلم) »[1]

وحين تحدث عن التناسب بين المقصود وافتتاح السورة بالحرف(ن) قال : « فقد انطبقت بمخرجها وجميع صفاتها على العلم الذي هو مقصود السورة..» أي علم النبي ﷺ

نزولها :

سورة القلم مكية باتفاق أهل العلم، وتسمى سورة (ن) كذلك، لابتدائها بحرف النون، ولأهل العلم خلاف غير محسوم في ترتيب نزولها، فالأصح الذي تضافرت عليه الأخبار الصحيحة أن أول ما نزل

من القرآن سورة العلق[2]، ثم اختُلف فيما نزل بعدُ من القرآن، فقيل : سورة (ن) والقلم، وقيل المدثر، ثم المزمل، وقيل : بل : العلق ثم المدثر، ثم المزمل، ثم القلم.[3]

وإن كنتُ أميلُ إلى رأي د. بكري شيخ أمين بتأخر نزولها إلى ما بعد السنة الثالثة من البعثة ، أي في مرحلة الدعوة الجهرية ؛ لما فيها من الدلالة على

أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(١) نظم الدرر ، البقاعي : ١/ ٨٩ (بتصرف)

(٢) رواه البخاري في الصحيح الجامع ، كتاب بدء الوحي ، باب (٣) ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٥٨.

حدوث المجابهة الصريحة الحادة مع المشركين، وذلك لم يحدث في بداية الدعوة؛ إذ كانت الدعوة سرية [1]، كما أن اتهام النبي بالجنون كان من أهم أسباب نزولها كما يتضح من تدبر معانيها.

مناسبة السورة لما قبلها :

جاءت سورة القلم متلائمة مع سابقتها (سورة الملك)، آخذةً بمعصمها في أناقة ولطف كشأن القرآن في كل أغراضه ومعانيه : كالعقد النظيم الذي لا تنبو فيه درة عن أختها، ولا عجب فـ « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط » [2] كما يقول الرازي.

ولقد تأمل العلماء سورتي القلم والملك للكشف عن العلائق الدقيقة التي تربطُ بين السورتين، فهداهم إنعام النظر وحسن التأمل إلى روابط لطيفة؛ فابن الزبير الغرناطي يرى أن الدلالات العظيمة التي ذكرت في سورة الملك وبسطت في نسقٍ موجز، ونظمٍ يبهر العقول، ويفوق كل مقول لا يمكن أن تصدر عن موصوف بالجنون كما يدعي الكافرون، وهو الذي تصدرت سورة القلم بتنزيهه عنه، يقول : « فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين، أتبعت بتنزيه الآتي به ﷺ مما تقوَّله المبطلون، مقسمًا على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيدًا في التميز والتكريم، فقال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وأنى يصح من مجنون أن يتصوَّر تلك

---

(١) ينظر : التعبير الفني في القرآن : ٢٧١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م.

(٢) التفسير الكبير ، الرازي : ١٠/ ١٤٠.

البراهين، وقد انقطعت دونها أنظار العقلاء، فكيف ببسطها وإيضاحها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حير العقول، وعبارة تفوق كل قول... »[1]

وقريبٌ منه تلميذه أبو حيان الأندلسي الذي رأى أن الله ﷻ ذكر في سورة الملك شيئًا من أحوال السعداء والأشقياء، وقدرته الباهرة، وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصبًا، وكان الذي أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر، ومرة إلى الجنون، فبدأ سبحانه وتعالى سورة القلم ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه العظيم[2]

ورأى البقاعي أن الإبهام الذي خُتمت به سورة الملك في قوله: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾: أوضحته سورة القلم في مطلعها حين عينت المهتدي الذي برهن على هدايته بحيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضل بمصاحبته، وبينت أوصاف الضال بما أفاده على هذا النبي الكريم الأمي من العلوم التي زخرت بحارها فافتتح هذه السورة بكلمة البيان – يقصد حرف النون – وبالقلم الذي رتبته في بيان العلم وكشف خفاياه بحيث لا يجهلها أحد اتصف بالعقل، وكان المخاطب بهذا قد عاشرهم دهرًا طويلًا، وهو أعلاهم قدرًا، وأطهرهم خلقًا، وأحكمهم رأيًا، وأزكاهم

---

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد ابن الزبير الغرناطي: ١٩٢، ت/ سعيد جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٣٠١/٨.

نفسًا.. ولم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون الذي ينشأ عنه الضلال المذكور آخر الملك.[1]

أما السيوطي فربط بين القدرة على إذهاب الماء وتغويره في آخر الملك: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ بالقدرة على إذهاب الثمر في سورة القلم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾

حيث يقول: «فلما ذكر ﷻ التهديد بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة يطاف عليه فيها وهم نائمون، فأصبحوا ولم يجدوا لها أثرًا... وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب»(٢)بل يضيف وجهًا لطيفًا آخر، وهو اتفاقهما في وقت الإذهاب فكما أن تغوير الماء حدث ليلًا فكذلك إذهابِ الثمر. يقول: «ولهذا قال: ﴿...وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ وقال هناك ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ﴾ إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة»[3]

ومن تأمل هذه الوجوه من التناسب بين السورتين وجد أنها من اختلاف التنوع لا التضاد، وأن كلا منهم قد نظر إلى وشيجة رحم تربط بين السورتين لا تخالف صاحبه، وإن كان ابن الزبير وتلميذه قد نظرا إلى جهة كلية تجمع بينهما، أو بالأحرى كان يربط بينهما وعينه على مقصوديهما وكذلك فعل أبو حيان؛ لذلك كان رأيهما أكثر كشفًا للّحمة القوية بين السورتين، ولذلك

---

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: ٨ / ٩١.

(٢) تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، السيوطي: ١٤٢، ت: عبدالله الدرويش، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

(٣) المصدر نفسه.

يقول الغماري صاحب كتاب (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) تعليقًا على رأي ابن الزبير : « وهي مناسبة ظاهرة »[1]

بينما البقاعي نظر إلى علاقة خاتمة الملك بأول القلم وهذه صورة أخرى من صور التناسب في البلاغة القرآنية المقررة لدى العلماء[2]، أما السيوطي فإنه قد نظر إلى علاقة لطيفة وجليلة القدر بين السورتين ؛ لأن مقصود سورة القلم تنزيه النبي والثناء عليه، أما سورة الملك فتركز على إظهار كمال ملك الله وقدرته بعثًا على الخضوع له وخشيته، وهي القدرة على إذهاب الماء ليلا في سورة الملك بالقدرة على إذهاب الثمر ليلا في سورة القلم، ولكنها أبعد عن المقاصد الكلية الأم للسورتين.

* * *

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبدالله الغماري : ١٢٠ ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) ينظر : التناسب في القرآن الكريم —صوره وأسراره البلاغية ، للباحثة : ٣٤٦ -٣٥٦ ، بحث الدرجة العالية (دكتوراه) جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل (الدمام سابقًا) ١٤٢٣هـ ؛ التناسب في تفسير الإمام الرازي — دراسة في أسرار الاقتران : ٣٠٢ -٣٠٧ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

المبحث الأول – دراسة البناء التركيبي للمطلع[1]

(إظهار علمه ﷺ والثناء عليه والتعريض بأعدائه)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القلم: ١ – ٧]

يُقسم الله مطلع هذه السورة بالقلم والكتابة على براءة النبي ﷺ من تهمة الجنون بفضل الله ونعمته عليه، ويؤكد ثوابه العظيم على ما يعانيه من أذى المشركين لتبليغ الرسالة؛ والثناء عليه بالأخلاق العظيمة، ويبين صفات المكذبين عندما يتكشف الحق ويتضح من هو المفتون بالجنون، وأن أعداءه هم الضالون والنبي هو المهتدي، وينهاه عن طاعتهم؛ فقد تمنوا لو لاينهم ولاطفهم على حساب الدين[2]

---

(١) إن مصطلح المطلع ليس مقصوراً على الآية الأولى أو الآيتين من أول السورة، وإنما هو مفهوم يستقيم على كل ما من شأنه أن يكون مهادًا للغرض أو المقصود. ينظر: علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، نداء الحارثي: ٩، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م؛ علاقة المطالع بالمقاصد (دراسة بلاغية نظرية تطبيقية) إبراهيم الهدهد: ٢٣، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ -٢٠١١م.

ويدل عليه صنيع السيوطي في بيان وجه المناسبة بين المطلع والمقطع؛ فإنه يعدُّ من المطلع ما هو بعيد عن فاتحة السورة أو الآية والآيتان من أولها كما في المائدة وغافر والحديد، وكذلك المقطع، وهو ختام السورة فلا يقتصر على الآية والآيتين الأخيرتين في السورة، بل ما يكوِّن فكرة متكاملة ترتبط بالمقصود كما في حديثه عن مقطع سورة النور. ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، السيوطي: ٦٩، ٦٣، ٤٩، ٥٦ و(مقدمة المحقق): ٣٥، ٣٦، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ. ويشيع في الدراسات القرآنية مصطلحا (الفواتح والخواتيم) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٦٤ -١٨٢؛ إعجاز القرآن، الباقلاني: ٢٠٨، ت/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، (ت: د)

(٢) المختصر في التفسير: ٥٦٤.

والتدبر البلاغي لبناء هذا المطلع وخصائص تركيبه يهدي لكثيرٍ من اللطائف والأسرار، وأول ما يقابلنا في هذه السورة هو **الافتتاح بالحرف (ن)**، وبلاغة البدء بالحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور هو **تحدي المعاندين**، وإثبات عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن. وهذا أول التحدي الواقع في القرآن؛ إذ ليس في سورة العلق ولا في المزمل، ولا في المدثر إشارة إلى التحدي لا تلميحًا ولا تصريحًا(١) ثم نزلت بعدها ثمان وعشرون سورة مبدوءة بحروف التهجي نحو: (ق. طه. آلم. حم. طسم. عسق. كهيعص...) (٢)

لقد جاءت هذه الحروف في أوائل السور بيانًا لإعجاز القرآن واحتجاجًا على الكفار والعرب خاصة

بأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ليكون أبلغ في التحدي والإعجاز، ولتكون كالمهيجة لهم، والموقظة للهمم الراقدة الغافلة من بلغائهم لطلب التساجل والمعارضة، ولتسترعي انتباههم فيفتحوا لها أسماعهم، ثم يتلى عليهم فيسمعوا، فيكون ذلك إلزامًا لهم بالحجة (٣)

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٥٨.

(٢) وقد اختلف الأقدمون في معناها اختلافًا يعكس عجز البشر عن الإحاطة بأسرار القرآن، وقد ساق جامع البيان عن تأويل آي القرآن ما توصل إليه عصره في معناها. لكنا نخرج من هذا الخلاف بقول يهدي إليه القرآن ذاته، وهو أنها لا معنى لها، فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين وفي لغة العرب لا معنى لـ (آلم. آلر) وأمثالها. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/ ٧٣؛ تفسير القرآن العظيم: ١/ ٤٠؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٢٤٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/ ٧٣؛ نظم الدرر: ١/ ٦؛ الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٤، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٢٤٥.

والدليل على هذه النكتة البلاغية أن هذه الحروف لم تذكر قط إلا وعقبت غالبًا بذكر القرآن إما مقسمًا به . وإما مخبرًا عنه، للانتصار للقرآن . وبيان إعجازه وعظمته . وهذا معلوم بالاستقراء [1] ماعدا سور : مريم والقلم والعنكبوت والروم. ويؤكده أن جميع السور المفتتحة بهذه الحروف هي سور مكية ما عدا الرعد والبقرة وآل عمران . والجو الذي نزلت فيه السور المكية هو جو التحدي بالقرآن في وقت اشتد فيه التكذيب بالقرآن، لذلك كان مجيئه في هذه السورة المكية المبكرة تمهيدًا للتحدي، ولفتًا واضحًا إلى سر الحرف في البيان المعجز لاسيما وأن في السورة جدلًا من المشركين في نبوته ﷺ وجحدًا لمعجزته بدلالة قولهم إنها أساطير الأولين [2] ؛ فضلا عما فيه من الدلالة على شرف الحروف كما يقول ابن القيم وجلالها وعظمتها باعتبارها من نعم الله على عباده حين أقدرهم على الكلام بها لينظموا بها العلوم [3].

والذي يعنينا في هذا الدراسة علاقة هذا التحدي بمقصودها الأعظم وهو رعاية النبي ﷺ وتأييده، ولا يخفى على المتدبر ما في التحدي من قوة الانتصار له ﷺ في مقام هذه الدعوى الباطلة والاتهام الجائر.

أما السر في اختصاص سورة القلم بحرف الهجاء (نون) بالذات دون غيره من حروف العربية، والسر في غلبة هذا الصوت في فاصلتها، فإنه يعود للخصائص الصوتية لهذا الحرف وفقًا لنظرية ابن جني في أن العربي قد أبدع كلماته بجعل أصواتها على سمت الأحداث المعبر بها عنها(٤) وقد حاول

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١/ ٤٠.
(٢) ينظر : التفسير البياني ، د. عائشة عبدالرحمن : ٢/ ٤٢.
(٣) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ٢٠٤.
(٤) الخصائص : ٢/ ١٥٧ ، وما بعدها في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) ، دار الكتاب العربي ، بيروت (ط ، ت : د)

بعض الباحثين الكشف عن خصائص الحروف العربية معتمدا على الرابطة الفطرية بين أصوات الحروف وبين الحواس والمشاعر، مقررًا أن « كل حرف من حروف العربية مشحونة بشتى الأحاسيس والمشاعر، وأن كل حرفٍ من هذه الحروف بفعل هذه الخصائص الشعورية والحسية تحول إلى وعاء من الخصائص والمعاني فما أن يعيها القارئ أو السامع حتى تتشخص الأحداث والأشياء والحالات في مخيلته أو ذهنه ووجدانه، وبذلك ينوب الحرف العربي عن الكلمة »[1] ويستشهد لذلك بكلام الرافعي حول إعجاز القرآن بأن « في الكلمة العربية موسيقى باطنية عفوية بلا تصنع، قوامها التوافق الفطري بين خصائص أحرفها وما تدل عليه من المعاني إيحاءً وإيماءً »[2] ولأن الحروف العربية كانت تنتمي إلى القطاع الصوتي قبل أن تنتمي إلى القطاع اللغوي، فإن صوت النون صوتٌ هيجاني ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أنّ أنيناً)، ولذلك كان الصوت ذو المخرج النوني، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع، على أن صوت النون إذا لفظ مخفَّفاً مرقَّقاً أوحى بالأناقة والرقة والاستكانة،[3] وبالاعتماد على منهج الإحصاء والتقصي الشامل لمعاني المصادر المبدوءة والمختومة بحرف النون، كانت النتيجة العثور على ثلاثمئة وثمانية وستين (٣٦٨) مصدراً تبدأ بحرف النون؛ منها تسعة وعشرون مصدراً تدلُّ معانيها على أصوات تحاكي في الغالب انبثاق

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : ٢٢ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،(ط : د) ١٩٩٨م.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٥٨.

صوت النون من الصميم بما يتوافق مع مافيه من أنين أو رنين، نحو : نأج البوم، ونبّ التيس، ونبح الكلب، ونحّ ونحنح (تردد صوته في جوفه)، ونحب الباكي (أعلى بكاءه)، ونخر ونشج، ونعق الغراب ونغق ونعب ونغم، ونقس الناقوس، ونقّ الضفدع ونقنق... إلى آخر هذه المصادر.

ومئة وعشرون مصدراً تدل معانيها على الانبثاق والخروج بما يحاكي خروج صوت النون من الصميم : منها : نبأ (ارتفع وظهر) ونبت، ونبج الجرح (تورّم)، ونبع ونبغ، ونضّ ونضح، ونتأ المكان ونجد (ارتفع)، ونجم (طلع وظهر)...

وخمسة وأربعون مصدراً تدل معانيها على النفاذ في الأشياء مما يفيد الحركة من الخارج إلى الداخل، نحو : نبش الأرض (نبش ترابها) ونثل الشيء (استخرجه)، ونقب الجدار، ونقد الشيء (نقره ليختبره)، ونقر الطائر الشيء (حفره بمنقاره)، ونكت الأرض بعود (نقب فيها)...

وسبعة وأربعون مصدراً تدل معانيها على الرقة والأناقة والضعف بلا عيوب بما يتوافق مع صوت النون مرققاً مخففاً. منها : نُحف ونُحل (دقّ وهزل)، وندف القطن، ونسك الثوب (غسله بالماء فتطهر)، ونضّد العقد (ضمّ حباته إلى بعضها) ونقط، ونيّق في مأكله وملبسه (تأنق) ونقِه (برئ من مرضه) ونمّق الكتاب (أحسن كتابته).. [1]

أما المصادر المختومة بالنون، فهي مئتان وستة وعشرون مصدراً، منها ثمانية وخمسون مصدراً تدل معانيها على الرقة والأناقة والجمال، وفيها الكثير من مزايا النساء ومحاسنهن، منها: أرِن (نشط وفرِح) البَتنة (الروضة والمرأة

(١) ينظر : السابق : ١٥٩ ـ ١٦١.

الحسناء)، الجُمان، الحُسْن، الحنان، خادنه (صادقه)، وامرأة رزان، ورقنت المرأة (اختضبت بالزعفران)، زانه، وفتنته المرأة (استهوته)، والأفنون (الغُصن الملتف)، وفتاة فينانة (حسنة الشَّعْر طويلته)..

ومنها أربعة وثلاثون مصدراً تدل معانيها على الإقامة والاستقرار والإحاطة والخفاء، وذلك على النقيض من موحيات صوت النون في مقدمة المصادر، من اهتزاز وانبثاق ونفاذ في الأشياء. منها: أتن بالمكان، وسكنه، ورزن به، وعدن به، وعمن به، وعهن به، ومتن به ووتن، ووطنه أي: أقام فيه، وأكن الطائر ووكن: دخل عشّه، وأمن، وجَنّ، وحصُن المكان (صار حصيناً) وحضنه، ودجن ورجن بالمكان (أقام فيه وألِفه)، ودفن، ورصُن، وركن إليه...

وكان للمشاعر الإنسانية تسعة مصادر هي: (حنّ، وحزن، وهان، وذعن، ودان ديناً (خضع وذل)، وشجِن، منها ثلاثة للحقد، هي أحِن، ودَمِنَ (حقد) وضغن عليه.

وسبعة تدل معانيها على أصوات. هي: أنّ وحنّ، وخنّ (خرج صوت بكائه من أنفه)، ورنّ وشجن وطنّ، وغنّ (كان في صوته غُنة)، وكان للاهتزاز والاضطراب مصدر واحد هو: زفن (أي: رقص)، وذلك يعود إلى حرف (الزاي) المختص أصلاً بمعاني الاهتزاز والاضطراب، وكان للحركة من الداخل إلى الخارج مصدران اثنان، هما: دنّت العين (سال ما فيها من عمش)، عنّ الشيء (ظهر وبان)، أما مايفيد الحركة من الخارج إلى الداخل فكان له مصدر واحد هو (طعن).

وهكذا يكون حرف النون قد طبع بخصائصه الصوتية (٦٢٪) من معاني المصادر التي تنتهي به، بعد أن طبع (٧٦٪) من المصادر التي تبدأ به، مما يدل على أن هذا الحرف النسوي الرقيق الأنيق يتمتع بشخصية فذة لا يتمتع بها غيره، وذلك إشارة صريحة إلى ما في الرقة والأناقة من طاقات روحية كامنة.[١]

وبذلك خلص إلى معنى لطيف يتناسب وما نحن بصدده، وهو أن « للنون من رقيق الفضة الخالصة صافي رنينها، ومن أنين المفجوع ذوب صميمه، لا أمسُّ بإنسانية الإنسان منها ولا ألصق. ففي النون رِقَّة وعصير أنفاس وإلفة، لا أرشق بداية تبدأ الألفاظ بها ولا ألطف نهاية ! ماجاورت النون حرفاً إلا وكان له من سنا أناقتها طيفُ خِفة ورِقة ورشاقة، تفعل النون بأصوات الحروف ما تفعله الأنيقات الأديبات في نفوس الناس هزاً لمشاعرهم وتهذيباً لعواطفهم صَحابة عيش ووفاء، ورِفقة رِقَّةٍ وإحاطة وحَنان، فكانت النون الأنيسة بذلك وحدَها، دنيا من المشاعر والشعر والموسيقى، لولاها ما اهتدى الإنسان إلى وترٍ يئنُّ وناقوسٍ يرنُّ، ولا إلى ناي أو كمان »[٢]

ولا غرو إذن في اصطفاء البيان المعجز هذا الحرف الرقيق بما يوحي من رقة وخشوع واستكانة مطلع هذه السورة كما استقر في فواصلها؛ فإنه يتناسب والعناية الربانية بشأن النبي والتسرية عنه برقة ولطف، أو العلاج التربوي للرسول كما يسميه رمضان حسان [٣]

ولله دَرُّ البقاعي حين سبق إلى ربط صفات هذا الصوت (ن) بمقصود سورة القلم عند توجيه إيثار هذا الحرف مطلع هذه السورة حين تأمل صفات

---

(١) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦١ – ١٦٣.
(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦٧.
(٣) ينظر : البلاغة القرآنية في سورة القلم – دراسة تطبيقية : ٢٠٢٥.

هذا الحرف وأن مبتدأه ومنتهاه ذات الصوت، ودورانه مع الكلمات الدالة على النفاذ والانبثاق والظهور، وما في صفاته من الجهر وإنها بين الشدة والرخاوة والانفتاح والاستفال، وما فيها من الغنة فوجد ذلك كله مناسبًا لمقصود السورة المعنية بتعيين أنه المهتدي بإظهار علمه ﷺ كما قرر سابقًا، وأنه ﷻ افتتح هذه السورة بالحرف (نون) ليكون « دليلًا على العلم بما دلّ عليه من مخرج مسماه وصفاته ومواقعه في الكلم في جميع تقلباته، فقال (نون) التي هي اسم لمسمى به ظهور الأشياء وعلمها وإدراكها كما دل عليه موقعه في اسم النور والنار، والنيل والنمو، والنباهة والنقاء، والنصح والنبأ، والنجابة والنجاة، والنحت والندم، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف، ويكون الإقسام وقع بالنون والقلم علوًا للإحاطة.. ولما كان هذا الحرف آية الكشف للأشياء كان مخرجه أمكن المخارج وأيسرها وأخفها وأوسعها وهو رأس المقول، فإنه يخرج مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا من اللثة، هو مما كرر مسماه في اسمه فانتهى إلى حيث ابتدأ، ومن صفاتها الجهر وبين الشدة والرخاوة والانفتاح والاستفال، والغنة الخارجة من الخيشوم إذا سكن، وكل هذا واضح في العلم الذي له الاتساع والانتشار والتغلغل في الأشياء الباطنة »[1].

ونلاحظ أن البقاعي ركز على ما في صوت النون من صفات تتناسب والعلم، وكذا دورانه مع الكلمات الدالة على النفاذ والانبثاق والظهور، وأن مبتدأه ومنتهاه ذات الصوت، فكان فيه إحاطة هي أنسب شيءٍ للعلم الذي يرى أنه مقصود السورة، وهذه من خصائص هذا الصوت في العربية نعم،

(١) نظم الدرر للبقاعي: ٨/ ٩٠ (بتصرف)

ولكن الأنسب للمعنى الأعم والأعظم وهو الذب عن النبي ﷺ هي المعاني التي خلص إليها حسن عباس وما فيها من رقة وخشوع وليونة تتناسب ورعاية النبي وتشبيته.

وقد أشار د. محمد مريني إلى هذه العلاقة ما بين صفات هذا الصوت في مطلع السورة، وغلبتها في فواصلها أيضًا مع الميم التي شاركتها بعض فواصلها وبين مقصودها، وأن ما يتميز به النون ومثله الميم من خفة وليونة على اللسان مرتبط بمقصودها؛ لأنه يضفي على الآيات نوعًا من الرقة والليونة، مع هذا الرنين الذي يحدثه التوازن الصوتي لآيات السورة، ونصه: « فهو إيقاع طويل الحركة بصفة عامة، رخيَ الموجة، ينساب هادئًا مترعًا بالشفافية والرقة، وهذا ما يتناسب مع الجو العام للآيات، وهو جو الإيناس والتسرية، والتعويض عمّا كان يلاقيه ﷺ من أعداء الدعوة »[1]

ولهذا السبب يدعو شيخنا أبو موسى إلى العناية بهذه الظاهرة في البيان المعجز، وهي اختصاص السورة في القرآن بحرف معين أو أكثر من حروف الهجاء دون الأخرى، ويقول: « استخراج مناسبات هذه الحروف وأحوالها إلى مقاصد السور وأغراضها يحتاج إلى مزيد من التوفر والفهم والصفاء، ووراءه علم دقيق ومعرفة لطيفة شريفة »[2]

ثم يتبعه ﷻ بالقسم، والقسم من أقوى المؤكدات في الكلام؛ إذ يدل على التوكيد والقوة ويقطع على الخصم طريق الإنكار في ذاته، وبخاصة القسم الذي يلي الحروف المقطعة كما في هذه السورة، ولا يوجد أدعى من

---

(١) تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم: ص ٨٤.
(٢) الإعجاز البلاغي: ص ٢٣٦.

مقام اتهام النبي ﷺ بتهمة الجنون حتى يُساق القسم لأجله، وقد أقسم بالقلم والكتابة ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن (يسطرون) من سطرَ : أي كتب كلمات عدة تحصل منها صفوفٌ من الكتابة[1]، أما القلم فهو المقصود في قوله ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ في سورة العلق(٢) أي : جنس القلم المعروف؛ لأنه المناسب في الظاهر لقوله (وما يسطرون) أي الكتابة، وما يقتضيه حال المشركين المقصودين بالخطاب الذي لا يعرفون إلا القلم الذي هو آلة الكتابة عند أهل الكتاب. وعند الذين يعرفون الكتابة من العرب[3] **وإقسام الله بالكتابة وآلتها القلم** يجيء مقصودًا في هذه السورة؛ لعظمته أولا؛ فإن الله لا يقسم إلا على عظيم[4]، ولمناسبة هذا القسم لمقصود السورة.

أما الأمر الأول **فأي عظمة تلك التي جعلت القلم والكتابة يقعان في أول قسم يقرع أسماع العرب مسلمهم وكافرهم ؟!** يجيب الزمخشري بأن ذلك « لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد التي لا يحيط بها الوصف »[5] أما ابن القيم فيرى أن عظمته في أنه إحدى آيات الله

---

(١) ينظر : جامع البيان :٢٢/١٤؛ تفسير القرآن العظيم :٣٢٨/٤. وقد خالفت د. عائشة عبدالرحمن في التفسير البياني : ٢/ ٤٤ ورأت أنه مأخوذ من (أسطورة) اعتمادًا على كثرة ورود (أساطير) في القرآن، ولا وجه له؛ لسببين : الأول — أن الله لا يقسم إلا على عظيم، وأين العظمة في أن يقسم الله جل وعلا بالأسطورة، والثاني : أين الأسطورة من القلم حتى يجمعهما قسم واحد ؟! وقد قرر العلماء خصيصة التناسب بين المقسومات في القرآن الكريم. ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ١٢-١٣، ٥٦؛ وينظر : من بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم للباحثة :٣٨١، رسالة تخصص (ماجستير) جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل، قسم اللغة العربية، تخصص البلاغة والنقد، ١٤١٦هـ

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤٠٣/٤

(٣) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ١٢٨.

(٤) ينظر : السابق : ٣.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : ٤/ ١٤١. دار الفكر، بيروت (ط،ت : د)

وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه، وقيد به الدين وأُثبتت الشريعة، وقامت به مصالح العباد [1].

والحقيقة إن بلاغة هذا المطلع الفريد لهذه السورة المكية المبكرة في النزول تكشف لنا سرًا من أسرار هذا الدين العظيم كما تكشف عن تناسبه مع مقصود السورة وإظهار علم النبي ﷺ؛ ذلك أنه يتنزل على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ويوجه الخطاب لنبي أمي منوّها بالحرف وشرف الحرف الذي له مكانه من العلم والتعلم، ثم يقسم بالقلم والكتابة. والعلاقة لا تخفى بين الحرف بوصفه أحد حروف التهجي (الكتابة) وبين القلم. لقد جاء لافتًا إلى سر الحرف الذي هو مناط القراءة والعلم والبيان ولا تخفى علاقته بكلمة الوحي الأولى (اقرأ)؛ لتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنهم، وإقبالهم على الكتابة والعلم؛ ليكونا سببا لحفظ القرآن [2].

وبهذا تتجلى **بلاغة القسم بالقلم والكتابة، وأنه** : « تعظيم لقيمة الكتابة، وتوجيه إليها وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم إلا عن هذا الطريق. وهو الضروري لدورها المقدر لها؛ لتنهض لقيادة البشرية قيادة رشيدة، وما من شك في أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى » [3]. ولذلك استحقا أن يقسم بهما على براءة نبيه محمد ﷺ مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون [4].

---

(١) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ٢٠٧.
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٥٩.
(٣) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٥٤. وينظر : الكشاف : ٤/ ١٤١؛ التفسير البياني ، د. عائشة عبدالرحمن : ٢/ ٤٣ -٤٤.
(٤) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥/ ٢٥٠.

وبعد أن **دلل النظم المعجز بأسلوب القسم في المطلع على رجاحة عقله ﷺ لتكون السبيل لتبرئته من تهمة الجنون**، مضى ينفي عنه هذه الصفة الذميمة **بأقوى ما في الكلام من مؤكدات**[1] وبنظمٍ فيه من الشدة والقوة ما لا يخفى، فقال : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وذلك بـ :

١ - نفي الجنون عنه بالباء ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾؛ وفائدته تأكيد هذا النفي، وإفادة الباء في الخبر لمعنى التأكيد يتضح بالاستقراء القرآني لمواضع الباء في الخبر المنفي، تقول د. عائشة عبدالرحمن : « والذي نطمئن إليه في هدى التدبر لما استقرأنا من هذا الأسلوب في القرآن هو أن الباء تأتي في خبر المنفي بـ (ما)

أو (ليس) فتجعله جحدًا أو أنكارًا... تصير به إلى إنكارٍ باتٍّ : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) »[2]

٣ - ثم التعبير بالجملة الاسمية منفية ؛ لدلالة الاسمية على ثبات الخبر وتحققه.

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٦٢. وقد نصَّ ابن عرفة الدسوقي على المؤكدات فقال : « واعلم أن مؤكدات الحكم (إن) المكسورة والهمزة والقسم ، و(نونا التوكيد) (ولام الابتداء) (واسمية الجملة وتكريرها) (وأما الشرطية) (وحروف التنبيه) (وحروف الزيادة) على ما فُصِّل في النحو ، (وضمير الفصل) ، (وتقديم الفاعل المعنوي لتقوية الحكم)، (والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه ؛ لأنها تفيد الوعد أو الوعيد)، (وقد) التي للتحقيق ، (وكأن) ، (ولكن) ، (وإنما) (وليت) (ولعل) (وتكرير النفي).. » حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص ١/ ٢٠٤ (بتصرف) ، دار السرور ، بيروت ، (ت ، ط : د) ؛ والبلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل عباس : ١١٤ -١٢٢ ؛ علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د. بسيوني فيود : ٣٦.

(٢) التبيان في أقسام القرآن : ١٣٣ -١٣٤.

٤ - الاعتراض بجملة ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ بين المبتدأ وخبره على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء هذا الوصف عنه ﷺ [١] والمعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، نعمة الإيمان والنبوة، وحصانة العقل وسائر الأخلاق الفاضلة، وفيه الدلالة على أنه ﷺ في غاية الغايات من حصانة العقل ورزانة الرأي[٢] يقول الرازي

: « قوله (بنعمة ربك) كلام وقع في البين، والمعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال : أنت

بحمد الله عاقل، وأنت بحمد الله لست بمجنون... ومعناه أن تلك الصفة المحمودة إنما حصلت، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله ولطفه وإكرامه... » [٣].

وهذا يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية، والبراءة من كل عيب، والاتصاف بكل مكرمة، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة، فوجودها ينافي حصول الجنون، فالله تعالى نبَّه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم : إنه مجنون.

٥ - **إضافة اسم الربوبية إلى كاف خطاب النبي ﷺ** (ربك)، وفي هذه الإضافة في باكر الأمر تربية له ﷺ في أُفقها الأكمل والأجمل ؛ إذ تحمل إعلامًا بفيوض العطاء « وفيه لفتٌ إلى أنه ربك أحسن تربية، ونشأك أكرم

---

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٨/ ٣٠٢.
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ٩/ ١١ -١٢ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٢٩/ ٢٥.
(٣) التفسير الكبير : ٣٠/ ٨٠.

تنشئة، ورعاك خير رعاية، وهو ربُك الذي قربك أفضل تقريب، وزادك شرفًا بإضافتك إلى حضرته، ثم إنه ربى نفسك وقلبك وروحك بهذا الوحي، فكنت خير خلقه قوة نفس، وصحة وجدان، وصفاء روح »(١) وإيثار لفظ (الرب) دون لفظ الجلالة (الله) هو من الأمر اللافت في بناء السورة كاملة، (٢)، وذلك أنه تعبير يوحي بالقرب والمودة، هكذا في عطف وفي إيناس وتكريم، وفيه دلالة على أنه المربي لك بمثل تلك الهمم العالية، والسجايا الكاملة؛ لتشريفه وتنزيهه ﷺ والرد على ذلك الافتراء الذميم وما ينسب إليه ﷺ من الجنونِ حَسَداً وعداوةً ومكابرةً (٣)

وهنا يرد تساؤل : لماذا يؤثر القرآن هذا البناء التركيبي الذي يتقدم فيه نفي التهمة على التهمة ذاتها، وأنما يختار تأخيرها إلى نهاية السورة حكاية عنهم : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾، ولـــــمَ لا يذكرها أولا ثم ينفيها ؟!

يجيبُ ابن الزبير الغرناطي جوابًا كاشفًا عن علاقة ذلك بمقصود السورة وأنّ « تقدم الجواب بنفي قولهم والتنزيه عنه على حكاية قولهم؛ ليكون أبلغ في إجلاله ﷺ، وأخف وقعا عليه، وأبسط لحاله في تلقى ذلك منهم، ولذا قدم مدحه ﷺ بما خُصّ به من الخلق العظيم، فكان هذا أوقع في الإجلال من

---

(١) من أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد أبو موسى : ٥١.
(٢) في شأن عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ ، في شأن أصحاب الجنة : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ ، ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ ، ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ ﴾ ، ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا ﴾ ، في شأن يونس : ﴿ لَوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ، ﴿ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ ، وفي سياق المتقين : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٢/٩.

تقديم قولهم ثم رده ؛ إذ كسر سورة تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزه عنها أتم في الغرض وأكمل »[1]

٦ - الخبر الإنكاري المؤكد عن عظمة الأجر لتحمل أعباء التبليغ بعد أن ثبَّت الله رسوله، ودفع بهتان أعدائه ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ والأجر لا يكون إلا على العمل الصالح المؤسس على الأخلاق الحسنة والعقل الراجح[2]. **ولما كان أجرًا عظيمًا آثر تنكيره في القرآن كله**، فلم يأتِ معرَّفًا حتى يعطي اللفظُ مع التنكير امتدادًا لا يحده قيد ؛ ليدل على أنه ثواب عظيم لا يقادر قدره[3].

إن هذه الجملة من الله لنبيه إيناس وتسرية، وتعويض غامر عن كل حرمان، وعن كل جفوة، وعن كل بهتان يُرمى به، فماذا يؤثر فيه هذا الاتهام والله يقول له هذا الكلام في عطف ومودة وتكريم ؟![4]. وفائدة جليلة أخرى هي أنه لا يمنعك هذا الاتهام عن الاشتغال بالمهمة العظيمة، وهي الدعوة إلى الدين القويم لما يترتب عليه من الثواب العظيم[5].

لقد أخرج الخبر في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ على الضرب الذي يسميه البلاغيون الضربِ الإنكاريِ[6] ؛ فزاد في التأكيد بإن واللام والاسمية

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن : ١٩٣.
(٢) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٩٩ ؛ البحر المحيط لأبي حيان : ٨/٣٠٢.
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٩/١٢.
(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/٣٦٥٥.
(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٣٠/ ٨٠ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٦/ ٣٣٥ ؛ البحر المحيط لأبي حيان : ٨/ ٣٠٢.
(٦) ينظر : الإيضاح : ١/ ٧١ ؛ البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها، عبدالرحمن حنبكة الميداني : ١/ ١٧٩ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

لزيادتهم في المكابرة، وعناصر التوكيد إنما تتكاثر وفقًا لتصاعد أحوال إنكار المخاطب[1]، كما يجيء هذا التأكيد ليكون الوثيقة السماوية والشهادة الكبرى التي يمجد الله فيها نبيه ﷺ، ويمجد بها العنصر الأخلاقي في دعوته وعقيدته[2]، ولا يخفى ما في هذه الجملة من الانتصار لنبيه، وتسفيه قول الأعداء؛ لأن من تلبَّس بخلق عظيم لم يجز إضافة الجنون إليه[3] حقيقةُ الخلق في اللُّغة: هُو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يُسمَّى خُلُقًا؛ لأنَّه يصير كالخلقة فيه[4] ولفظ الخُلُق خُصّ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة كما خُصّ لفظ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر[5]، وفي هذا تكذيب للحسّاد؛ لأن الأخلاق الحسنة لا تجامع الجنون[6] فضلاً عما ألقاه التعبير بـ(على) دون (صاحب) أو (ذي) من ظلالٍ خاصة على المقصود، وكان لفتًا بديعًا، وتصويرًا رائعًا لسمو أخلاقه ﷺ، والدلالة على تمكن العنصر الأخلاقي في النبي ودعوته؛ فإن (على) هنا للاستعلاء المجازي المراد به

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب، د.محمد أبو موسى: ١١٨.

(٢) وقد قيل أدب عظيم، وقيل: دين عظيم. ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٢٩/ ٢٤ -٢٥. وقد ورد عن ابن تيمية أنها سورة الخلق ينظر: دقائق التفسير، ابن تيمية: ٥/ ١٤. ولذلك ذهب بعض الباحثين من كلية أصول الدين _ القرآن وعلومه إلى أن الخلق هو محورها الأساس الذي تدار عليه جميع موضوعاتها. ينظر الجانب الخلقي في سورة القلم، إبراهيم الدوسري، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢٩) ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ٨٠.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٨/ ٢٢٧.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٦٤.

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٥/ ٢٨٥؛ التفسير الكبير: ٣٠/ ٨١.

التمكن كقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٥] والمعنى أنك مستعلٍ بخلقك وأن هذا الخلق متمكن منك في نفسك وفي دعوتك [١]

ثم يجيء الوصف بـ (العظيم) للدلالة على أنه البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان، وهو أرفع من مطلق الخلق الحسن(٢) وقيل سُمِّي خُلُقه عظيمًا لأنَّه لم تكن له همَّةٌ سوى اللَّه تعالى، وقيل لاجتماع مكارم الأَخْلاق فيه، وقيل: لأنَّه امتثل تأديب اللَّه تعالى إيَّاه بقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وغيرها من آيات، وعلى كل فإنه انتصار للنبي وأي انتصار ؟!

- ثم إنه بعد أن أبطل مقالتهم فرّع عليه أنهم إذا نظروا الدلائل، وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون؛ أهم المفتونون بالانصراف عن الحق أم هو المفتون باختلال العقل ؟ [٣]

- **وإيثار المفتون(٤) دون المجنون في قوله** ﴿ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ من الكلام الموجه ليصح فرضه للجانبين[٥] وسواءً كان المعنى أيكم المفتون أو أي الفريقين

---

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥/ ٢٨٥ ؛ التفسير الكبير : ٣٠/ ٨١ ؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٣٥/٦ التحرير والتنوير : ٦٣/٢٩، ٦٤ ؛ ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ص٥ وما بعدها.

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٤/٨.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٦٥.

(٤) يجوز أن يُراد به المجنون ، ويقال فتنة الجن ، أي أصابه الشيطان بالخبل ، ويجوز أن يراد به ما يصدق على المضطرب في أمره ، المفتون في عقله. ينظر : التحرير والتنوير : ٦٥/٢٩ « والأقرب إلى الظن أنهم لم يكونوا يقصدون به ذهاب العقل ، فالواقع يكذب هذا القول ، إنما كانوا يعنون به مخالطة الجنة له » في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٥٨.

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٢/٩. التوجيه فن من الفنون البديعية التي يورد الكلام فيه محتملا وجهين مختلفين على حدٍ سواء. الإيضاح : ٦/ ٨١ ؛ وعلم البديع – دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، بسيوني قيود : ١٨٩ ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

يوجد به الجنون ؟ فريق المؤمنين أم الكافرين ؟ فإنه تعريض بديع ممزوج بوعيد بسوء المستقبل[1] بأن الجانب المفتون هو الجانب القائل له ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ﴾ وأن ضده هو الراجح العقل، والمقصود أبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من مدبري هذه الأقوال الشبيهة بأقوال المجانين ؛ ذلك أنهم وصفوا رجلاً معروفًا بين العقلاء برجاحة العقل بالجنون[2].

- وتعدية الفعل (ستبصر) بالباء (بأيكم المفتون) فيه معنى التهديد ؛ لأنه متضمن معنى تشعر وتعلم، كما تقول : ستشعر بكذا وتعلم به، فموضع الباء كموضعها في قوله : ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[العلق: ١٤] وهي كناية عن : التحقق واليقين والتقدير : توقن ويوقنون أو تتحقق ويتحققون كنَّى بفعل الإبصار عن التحقق ؛ لأن حاسة البصر أقوى طرق الحس، وهذا الوعد فيه من الطمأنينة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه بقدر ما فيه من التهديد للمناوئين

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٦٩. والتعريض من طرائق البيان في التعبير عن المعنى بطريقة غير مباشرة، وقد عرفه الزمخشري فقال : « أن تذكر شيئا تدل به على شيءٍ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم... وكأنه إمالة الكلام إلى عَرَضٍ يدل على الغرض، ويسمى التلويح » الكشاف : ١/ ٣٧٣ ، وينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ٣/ ٣٣ ، ت : أحمد العوفي، بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ؛ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطيبي : ٢٧٤، ت : هادي الهلالي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م. وللشيخ إبراهيم الخولي بحثٌ قيمٌ حول التعريض ؛ فصَّل فيه القول في تعريفه ومعانيه اللغوية مستشهدا لها بأي التنزيل وبأقوال أئمة التفسير وأمثلتهم في معنى التعريض، وقد استحسن تعريفات المفسرين وعلى رأسهم الطبري مبينا اضطرابات البلاغيين في تعريف التعريض، الأمر الذي عزاه إلى استقاء المفسرين من أسلوب القرآن الكريم الفصيح. ينظر : التعريض في القرآن الكريم : ١٧ -٣٨، دار البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٦٦.

له المفترين عليه [1] لذلك قال قتادة : هذا وعيدٌ بعذاب بدر[2] **ثم يأتي الضرب الخبري الإنكاري** والتأكيد المشدد في قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ حيث صُدِّرت بـ (إنّ) وضمير الفصل (هم)

مرتين، والتعبير بالاسم الموصول (من) ؛ لما في جملة الصلة من تقرير للغرض المسوق له الكلام، لذا فهو أبلغ من الضالين، وآثر الفعل مفردًا ولم يقل : إن ربك أعلم بالذين ضلوا عن سبيله، بل لبيان حقارتهم، وكأنهم فرد واحد[3]، ثم تأمل **الدقة العجيبة في التعبير بالهداية والضلال دون العقل والجنون** والأصل : إن الله أعلم بالمجانين وهو أعلم بالعقلاء، والمعنى أنهم الموصوفون بالضلال وأنت الموصوف بالهداية، لكنه آثر التعبير **بالهداية والضلال دون العقل والجنون ؛** ليتضمن وعدًا ووعيدًا ؛ فالهداية ثمرتها السعادة الأبدية والضلال ثمرته الشقاوة الأبدية [4]وبهذا يكون من معاريض الكلام، ومقصوده : إن ربك هو أعلم يا محمد بك، وأنك المهتدي، وبكفار قريش وأنهم الضالون[5]. وقد وصل بين الجملتين للتناسب بين الجملتين ؛ فمن المقرر بلاغيًا أنه « إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدًا كقولنا : هو يقول ويفعل ويضر وينفع ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورًا، وكان الأمر حينئذٍ صريحًا...كنت قد أفدت بالواو أنك قد أوجبت له الفعلين جميعًا، وجعلته يفعلهما معًا، ولو قلت : يضر وينفع من غير واو لم يجب ذلك، بل

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٦٨ ؛ في ظلال القرآن : ٦/٣٦٥٨.
(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ٩/ ١٢.
(٣) ينظر : التعبير الفني ، بكري الشيخ أمين : ٢٧٧.
(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٩ / ٢٥.
(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٩/ ٢٦.

قد يجوز أن يكون قولك ينفع رجوعًا عن قولك يضر »[1] **وقد أؤثر الفعل في جانب الضلال** للإيماء بأنه خلاف ما تقتضيه الفطرة ؛ لدلالة الفعل على التجدد والحدوث بمعنى أن الضلال ليس شيئًا راسخًا في فطر الناس ، وهو الأقرب لروح السياق كونه مقابلا للوصف الثابت (المهتدين) من أن يكون إيثار الفعل الماضي ؛ لأن الضلال ثابت في هؤلاء منذ القدم كما يرى د. محمد مريني [2] ، بينما **آثر الاسم والوصف الدال على الثبوت في جانب الهداية** ؛ لدلالة الاسم الثابت على رسوخ الهداية في النبي ﷺ ومن معه. ولا يخفى ما يسكبه هذا المعنى **مع تكرار (وهو أعلم)** في نفس النبي من اليقين وزيادة التقرير. [3]

وقد جاءت هذه القوة في البناء التركيبي لمطلع هذه السورة مقابلة لقوة اتهامهم المؤكدة على لسانهم في ختامها : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ التي تناقلها أهل مكة ، ليصدّوا الناس عنه. ولاشك أن هذه القوة تأنيسٌ له عليه السلام وشرحٌ لصدره مما أوجبه افتراؤهم عليه من الوحشة [4]

---

(١) دلائل الإعجاز : ٢٢٦.
(٢) ينظر : تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ٦٠.
(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٨٢/٣٠.
(٤) ينظر : نظم الدرر : ٩٥/٨ ؛ التفسير البياني ، د. عائشة عبدالرحمن : ٤٤/٢ -٤٥.

المبحث الثاني

البناء التركيبي للمعقد

(تهديد أعدائه وضرب المثل بأصحاب الجنة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٨ - ٣٣]

إذا تأملنا الدلالات البلاغية للبناء التركيبي لهذا المقطع في اختيار ألفاظه وتراكيبه، فسنجدُ : أن أول ما يُلقى في الروع منها فاء التسبيب في قوله (فلا تطع) ولهذه الفاء في النفس موقعٌ بديعٌ وعجيبٌ، يُدرك أثره ولا يحسن التعبير عنه ؛ لما توحي به من الإضراب عنهم والإعراض، وهي تفريع على جملة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ باعتبار ماتضمنته من أنه على هدى وهم في ضلال، وأن ذلك يقتضي مشادتهم ومعاصاتهم وليس الملاينة، لذا جاء التهييج والإلهاب للتصميم على معاصاتهم وعدم إجابتهم لأمر المصالحة والملاينة حين سألوه تعظيم آلهتهم شرطًا لطاعته في

قوله : **(فلا تطع المكذبين)** [1] ولا يتصور من النبي متابعة هؤلاء المكذبين ولكنه خطاب له والمراد به أمته ، ليكون أبلغ في استجابتهم [2] ذلك أنه حين يُنهى النبي بجلالة قدره عن أمرٍ ما يدركون خطورته فيكون أعظم في انتهائهم. **وآثر وصف أعدائه بـ (المكذبين)** للدلالة على عراقتهم في التكذيب[3] واختير **تعريفه بأل** دون غيره من طرق التعريف ؛ لأنه بمنزلة الموصول في الإيماء إلى وجه بناء الحكم ، وهو حكم النهي عن طاعتهم ؛ فإنه مبني على أنهم كذبوا رسالته ، وفصل جملة **(ودوا لو تدهن فيدهنون)** عما قبلها ؛ لأنها بيان لمتعلق الطاعة ؛ فإن النهي عن طاعتهم لتكذيبهم رسالته [4] ، ولعل في إيثار (لو) أداة الشرط التي استعملت في معنى التمني والترجي دون غيرها من الأدوات الصريحة في التمني ما يفيد قوة رغبتهم في هذه الملاينة « كأنها تبرز شعور اللهفة اليائس »[5] **وحذف المبتدأ** في (فيدهنون) والتقدير : فهم يدهنون يقول ابن عاشور « وسلك هذا الأسلوب ليكون الاسم المقدر مقدمًا على الخبر الفعلي فيفيد معنى الاختصاص ، أي : الإدهان منهم لا منك »[6]

والتعبير بالفعل (تدهن , ويدهنون) هو مما اختصت به سورة القلم دون سائر القرآن ، فلم ترد (مادة الدهن في القرآن) إلا اسمًا ، وذلك في ثلاثة مواضع ، وهي :

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٦٩.
(٢) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٢٩/٢٦.
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٩/١٢.
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٦٩.
(٥) دلالات التراكيب ، محمد أبو موسى : ٢١١.
(٦) وقد ذكر عبد القاهر جملة من الفوائد لهذه الصورة من تقديم المبتدأ على خبره الفعلي. ينظر : دلائل الإعجاز : ١٢٨ -١٣٥.

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧] والمقصود بالدهن والدهان : الدهن والزيت المعروفان[١] ﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ [الواقعة: ٨١] أي مكذبون ومنافقون، شبههم بالدهن في سهولة الظاهر؛ لأنهم يلينون جانبهم ليخفوا ظاهرهم.[٢]

أما إيثار التعبير عن الإدهان بالفعل ففيه تجدد معنى الملاينة والمصانعة والمداراة وترك الجد، وهو مأخوذ من الدُّهْن -كما سبق - لأنه يلين ما يدهن به[٣]، شُبِّه التَّليين في الْقَوْل بِتَلْيِينِ الدُّهْن، ولا شك أن له دلالة بلاغية خاصة، وإنعام النظر ودقة التأمل تهدي إلى سرٍ عميق هو أن فيه إيماءةً إلى أنهم ليسوا أصحاب عقيدة ثابتة راسخة؛ لأنهم على استعداد أن يلينوا ويتنازلوا، وكأنها تقول للمصطفي الحبيب ﷺ: ما بالك يا محمد بعقيدة لا جد فيها، ولا رسوخ، ولا يقين ؟! وقيل : إظهار خلاف ما يضمر، والانجرار بالباطل، وإغماض عن الحق مع المعرفة بذلك؛ يقول الفرّاء : الإدهان التليين لمن لا ينبغي له[٤].

وإعادة فعل النهي عن الطاعة (ولا تطع) بعد (فلا تطع)؛ للاهتمام به، فلم يكتفِ بدخول أصحاب هذه الأوصاف في عموم المكذبين، ولا بتخصيصهم بالذكر، بمجرد عطف الخاص على العام بأن يُقال : ولا كل حلاّف، بل جيء في جانبهم بصيغة نهي أخرى مماثلة للأولى، لإفادة تسليط

---

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٨٠ ، لسان العرب ، مادة دهن.
(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٢٧/١٧.
(٣) ينظر : لسان العرب مادة (دهن) ؛ بصائر ذوي التمييز : ٢/ ٦١٢.
(٤) نقله القرطبي عن الفراء. ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٠/١٨ ؛ نظم الدرر : ١٠٠/٨ ؛ التحرير والتنوير : ٦٩/٢٩.

الوعيد الخاص وهو الوسم على الخرطوم على أصحاب هذه الصفات الخاصة زيادة على وعيد المكذبين(١) ووصل بين الجملتين لاتفاقهما في الإنشائية لفظًا ومعنى، ثم تجيء **التهديدات العنيفة القاصمة لصاحب هذه الصفات** دليلًا وشاهدًا على قوة دوره في حرب النبي ﷺ وعلى سوء طويته وفساد نفسه، وخلوها من الخير مع ما تحمله من تنفير ونهي عن هذه الأخلاق الذميمة سواء كان المقصود الوليد بن المغيرة أو غيره(٢) **ومناسبة هذه الآيات لما قبلها :** أنه لما نهاه عن طاعة المكذب ساق عشر علامات لهؤلاء المكذبين على صيغتي المبالغة (فعال وفعيل) وأوثر مجيئها نكرة مفصولة عن بعضها ؛ لترسيخ قبح صاحب هذه الصفات ؛ فإن فعّال يقتضي تكرار الفعل من الشخص حتى صار حرفة ومهنة ؛ لأنه منقول عن فعال في الصناعة كالنجار والطحان.. فعندما تقول هو كذّاب كان المعنى هو كالنجار الذي حرفته النجارة، كما يقتضي المزاولة والتجديد ؛ لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعته ملازم لها، والكذاب هو شخص مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها لم ينقطع عنها(٣). وأما (فعيل) فهو لمن صار له الفعل كالطبيعة وهذا البناء منقول من فعيل الذي هو من أبنية الصفة المشبهة، وبناء فعيل في الصفة المشبهة يدل على الثبوت فيما هو خلقة أو بمنزلتها كطويل وخطيب، وفي المبالغة يدل على

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٧٠.

(٢) ينظر : الكشاف : ٤/ ١٤٢. قال ابن قتيبة : «لا نعلم أن الله وصف أحدًا ولا ذكر من عيوبه ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة » التحرير والتنوير : ٢٩/ ٦٩. قال القرطبي : «أن معظم السورة نزل في الوليد بن المغيرة » الجامع لأحكام القرآن : ٨/ ٢١٤ وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٨/ ٣٠١ ؛ التحرير والتنوير : ٢٩/ ٥٨.

(٣) ينظر : الصرف العربي أحكام ومعان – كتاب منهجي يجمع بين الأحكام الصرفية ومعاني الأبنية ، محمد السامرائي : ٩٩ - ١٠٠.

معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقة فيه كعليم، أي هو لكثرة نظره في العلم وتبحره فيه صار سجية ثابتة فيه(١) وأما تنكيرها : فلتحقير الموصوف بها، **وأول هذه الصفات الحلاف**، والحلف لفظ لم يرد في القرآن إلا في مقامات الحنث باليمين، لذلك غلب في سياقات الذم؛ ذم المنافقين والكافرين[٢] وهي المرة الوحيدة التي يؤتى بهذا اللفظ في القرآن اسمًا وعلى صيغة المبالغة[٣] وأريد به الكناية عن عدم المبالاة بالكذب وبالأيمان الفاجرة؛ فجُعِلت صيغة المبالغة كناية عن تعمد الحنث[٤] الهماز : من الهمز، وأصله في اللغة الطعن بعودٍ أو يد، أُطلق على الأذى بالقول في الغيبة على وجه الاستعارة وشاع حتى صار كالحقيقة، ومنه ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١][٥] يقول الطبري : « قيل للمغتاب همَّاز؛ لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون، وذلك غمز عليهم » كأنه انتقل من الطعن والغمز الحسيين إلى الطعن والغمز المعنويين، وفائدة **صيغة المبالغة** الدلالة على قوة الصفة، فإذا كان أذى شديدًا فصاحبه همّاز، ومثله (مشاء بنميم) و (نميم ونميمة) مصدران لـ (نمَّ)[٦] وهو نقل ما يسمع مما

---

(١) ينظر : السابق : ١٠١ -١٠٢.

(٢) وردت سبعة مواضع في ذم المنافقين في سورة التوبة وحدها، منها على سبيل المثال : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴿٧٤﴾﴾ وهكذا بعكس أقسم التي ترد في الذم وغيره. القسم وجوابه في العشر الأخير من القرآن، إحسان إبراهيم : ١٣، رسالة تخصص (ماجستير)، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠١٥م.

(٣) ينظر : السابق : ١٣.

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٥٨.

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٠٠.

(٦) ينظر : السابق نفسه.

يسوء ويحرش النفوس، وهو نقل الحديث على وجه الإفساد والوشاية [1] فالمشيء بالنميمة فيه تصوير لحال النمام واستعارة لتشويه حاله بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة كالسعي في قوله ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة : ٣٣]؛ ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعًا في تصوّر السامع من أسماء المعقولات[2] **والمنّاع للخير** : البخيل، والمراد منه منعه عمن أسلم، فقد كان الواحد منهم يقول لمن أسلم من أهله ومواليه : من دخل منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدًا [3] ومن عادة الاستعمال القرآني عدم عطف الصفات بعضها على بعض إلا عند التضاد أو المغايرة، ومقتضى المغايرة ألا تدخل بين الشيء ونفسه.

وقد روعي التوازن وتماثل الصيغة في هذه الصفات الأربع وهي : حلاف وهماز ومشاء ومناع، والموازنة « معلم من معالم البلاغة العربية يرفع قيمة الكلام، ويجعله أكثر حسنا، وأكثر تأثيرا في النفس، وترفع المفردة القرآنية بميزات ثلاث رئيسة، وهي: جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى» [4] والمعتد الأثيم : الاعتداد صيغة مبالغة في

---

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٠٨ ؛ لسان العرب مادة (نمم).
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٧١.
(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٨/ ٢١٤.
(٤) علم البديع وبلاغته في القرآن الكريم - دراسة تحليلية بلاغية لفن الموازنة في جزء تبارك ، نصر الدين إبراهيم أحمد حسين ، وآخرون : ١٩١ ، الجامعة الإسلامية ماليزيا (باقي بيانات النشر : من دون)

العدوان، والافتعال فيه للدلالة على الشدة. والأثيم : كثير الإثم، والمراد منه هنا ما يُعد خطيئة وفسادًا عند أهل العقول والمروءة [1].

وقد أشار أبو حيان إلى بلاغة هذه الصفات، وما نتج عن نظمها وصيغها من توازن صوتي، يقول : « وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ونوسب فيها، فجاء (حلاّف) وبعده مهين ؛ لأن النون فيها تواخٍ مع ميم أثيم، ثم جاء (همّاز ومشّاء)، بصفتي المبالغة، ثم جاء (مناع للخير معتد أثيم) صفتا مبالغة » [2] **وهو عتل وزنيم**، والعُتُل : الغليظ الجافي من عتله إذا قاده بعنف وغلظة، وقيل : إنَّه الَّذي يعتل النَّاس فيجرهم إلى حبس أو عذاب، مأخُوذ من العتل وهو الجر [3] والزنيم [4] : الدعي الملحق بالقوم، الذي لا أصل له ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي : علامة في الشر يعرف بها. ومن معانيه الذي اشتهر وعرف بين الناس بلؤمه وخبثه وكثرة شروره . وهاتان اللفظتان من الألفاظ التي انفردت بها سورة القلم، وكأنهما اصطفيتا اصطفاءً لهذا الموضع ؛ لتؤديا دورهما المقصود من تصوير بشاعة هذه الشخصية ؛ فالعتل « لفظة تعبر بجرسها وظلها عن مجموعة من الصفات، ومجموعة من السمات، لا تبلغها مجموعة ألفاظ وصفات، فقد يقال : إن العتل هو الغليظ الجافي، وإنه الأكول الشروب،

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٦٢.

(٢) البحر المحيط : ٨ / ٣٠٤.

(٣) ينظر: نظم الدرر : ٨/ ١٠٢.

(٤) يقول الراغب الأصفهاني في معنى الزنيم هو : « في الزائد في القوم وليس منهم تشبيهًا بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق » وفي لسان العرب : أنه مأخوذٌ من الزَّنمة بالتَّحريك وهي قطعةٌ من أذن البعير لا تُنزعُ بل تبقى مُعلّقة بالأُذن علامةً على كرم البعير والزَّنمتان بضعتان في رقاب المعز ، وأن قوله تعالى: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ موسوم بالشر ؛ لأن قطع الأذن وسم. ينظر اللسان مادة (زنم).

ولكن تبقى بذاتها أدل على كل هذا وأبلغ تصويرًا للشخصية الكريهة من جميع الوجوه »[1]

والبعدية هنا في قوله (بعد ذلك) بعدية في الترقي في درجات الأوصاف المذكورة، وهي تؤدي فائدة بلاغية جليلة هي التراخي والبعد الرتبي، فهو علاوة على ما عُدِد له من الأوصاف عتل، سيئ الخلقة، سيئ المعاملة، دعي في قومه إما بمغمز في نسبه، وإما بكونه مولى[2]. لقد جعل القرآن « جفاءه ودعوته أشد معايبه؛ لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية؛ ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها »[3] ولقد أدى الفصل بين هذه الجمل الدلالة البلاغية اللطيفة على اجتماع هذه الصفات في المذموم ورسوخ السوء فيه؛ إذ جرى الاستعمال البليغ على عدم عطف الشيء على نفسه إلا إذا كان بينها تضاد أو مغايرة، ومقتضى المغايرة ألا تدخل بين الشيء ونفسه[4]، ووصفه بالمال والولد (أن كان ذا مالٍ وبنين) جعل بعض المفسرين يرجّح أن المقصود الوليد بن المغيرة لكونه ذا مالٍ وبنين، والراجح أنها ليست لمعين بدلالة (كل حلاف) وهو الأقرب للسياق، وإن كانت تعريضا به وأمثاله[5]

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٦٦٣.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٧٣.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٧٣. وقيل: إن المراد به الوليد بن المغيرة؛ لأن أباه ادعاه بعد ثمان عشرة سنة من مولده، وقيل الأخنس بن شريق؛ لأنه كان من ثقيف، مخالفا لقريش وحلّ بينهم. ينظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٨/ ٣٠٤.
(٤) ينظر: دلالات التراكيب، محمد أبو موسى: ٢٨٠ وما بعدها.
(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٦٦٣؛ التحرير والتنوير: ٢٩/ ٧٥.

ومن التناسب اللطيف بين هذه الآيات أن بدئت بالتكذيب (فلا تطع المكذبين) وختمت بوصف التكذيب، وهو مضمون قوله : (قال أساطير الأولين) [1]. والمعنى : كذّب بآياتنا بسبب أن كان ذا مالٍ وبنين، وهذه أقبح صفة مرت ؛ أن يجزي الإنسان نعمة الله عليه بالمال والبنين استهزاءً بآياته وسخرية من رسوله، واعتداءً على دينه، وهذه وحدها تعدل كل ما مرّ من ذم [2].

وقد يُسأل عن التنويع الأسلوبي وهذا التشابه اللفظي(٣) بين هذه الآية وقوله في سورة المطففين : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

إذ عقب الآية في سورة القلم بـ (سنسمه على الخرطوم) وفي سورة المطففين عقبها بـ (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) مع اتحاد الوصف قبلهما ؟! **والجواب** : أن آية **القلم** وصفت المكذبين بأشياء ظاهرة القبح، وخصال جامعة لكل خصال الذم الفاضحة، فقابلها بالعلامة التي تشهره وتنبئ عن قبائحه وفضائحه، أما آية **المطففين** فإنها في وصف المكذبين

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٧٥.

(٢) ينظر : السابق : نفسه .

(٣) المتشابه اللفظي هو ما تكرر لفظه مع تغير في بنائه ، أو الآيات التي تشابهت في تركيبها وبنائها اللغوي تشابهًا تامًا ، لكن اختلفت بإبدال كلمة مكان كلمة ، أو حرف مكان حرف ، أو بزيادة أو نقص ، وبعضها يتشابه مع وجود تقديم أو تأخير في التركيب ، أو تعريف أو تنكير... إلى غيرها من وجوه الاختلاف. ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل : ٣ ؛ وملاك التأويل : ١ / ١٤٥ ؛ والبرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٩ -٢٠ ؛ وكشف المعاني في المتشابه المثاني : ١٨ ؛ وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : ١٥.

بيوم الدين، الذين لا يؤمنون بالبعث، وأن ذنوبهم غلبت على قلوبهم حتى كأنها تنكرت لها، فلما لم ينعتهم إلا بهذا النعت ذكر جزاءهم في الآخرة، وهو أن يحجبوا عما لا يحجب عنه المؤمنون من ثواب الله يوم القيامة، هذا توجيه الإسكافي [1] وأرى أنه أقرب وأليق من توجيه ابن الزبير الغرناطي الذي ذهب إلى أن سبب تعقيب الأولى بما عقبت به أن الوعيد كان خاصًا بمعين، وهو الأخنس بن شريق أو الوليد بن المغيرة، وأما الثانية فليست لمعين، وإنما لمن يكذب بيوم الجزاء، ولكل من وقع عليهم أن المانع لهم ما غطى قلوبهم من الرين وهؤلاء غير معينين. [2]

ولأن صاحب هذه الصفات يستحق التشنيع والإهانة والتحقير توعده بوسم أنفه ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ وفُصلت عما قبلها للاستئناف البياني [3] كأن وصْفه بالصفات المذمومة السابقة حرّك النفوس لتسأل: فما جزاؤه؟ وهي متعلقة بما قبلها تعلقًا جميلا وتأمل هذا المقابلة البديعة بين الوصف المعنوي والوصف الحسي، فإنه طعنَ فيه أولًا موضع الاختيال بالمكانة والنسب، بوصفه بـ (زنيم) ثم لمس في نفسه هنا موضع الاختيال والفخر وهو الأنف؛ لأن العرب تقول: شمخ بأنفه تعبيرًا عن الأنفة والاعتزاز، فقال سنضع على أنفه علامة تشينه، ويشتهر بها في الدارين يبينُ بها عن سائر الكفار كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم(٤)ولهذا التشنيع والتحقير آثر لفظ **(الوسم) دون (الوضع) وكذا (الخرطوم) دون (الأنف)**؛لأن **الوسم** للإبل،

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٢٨٤.
(٢) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: ٢/ ١٠٩٣.
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٣٥ وما بعدها.
(٤) ينظر: الكشاف: ١٤٣/٤؛ والبحر المحيط لأبي حيان: ٣٠٤/٨؛ والتحرير والتنوير: ٧٦/٢٩.

وهو هنا تمثيل لهذا الكافر بالحيوان، تتبعه كناية عن قوة التمكن[1]، لأن دلالتها على تمام الغلبة والعجز عن المقاومة صالحة لأن تكون مجازية، وأن تكون حقيقية؛ لأنه قد حقق في الدنيا هذا الخطم حسًا بأنه ضُربَ يوم بدر ضربةً خطمت أنفه، ومن الاستعارة ا إطلاق **الخرطوم** على أنف الإنسان، وقد اشتهر التعبير عن ظهور الذلة بكسر الأنف وجدعه، ووقوعه في التراب في قولهم: رغم أنفه. ففيه إذن جمع بين التشويه والإهانة كما لا يخفى؛ لأن الوسم يقتضي التمكن وكونه على الوجه شين وإذلال، فكيف به على أكرم موضع منه ؟! فهو أشد إذلالاً[2] وما من شك أن وقع هذه الآيات على نفس عدوه ﷺ كان قاصماً؛ فهو من أمة كانت تعد هجاء شاعر ولو بالباطل مذمة يتوقاها الكريم، فكيف بدمغه بها من خالق السماوات والأرض بهذا الأسلوب الذي لا يبارى ؟!

ومناسبة قصة أصحاب الجنة لمعنى الثناء على النبي ﷺ وعلمه وخلقه وتأييده ظاهر بيِّن؛ فإنه بعد تطاول المشركين عليه اغتراراً بأموالهم وأبنائهم، جاء ضرب المثل لهم بأصحاب القصة للاعتبار والاتعاظ بأن الازدهاء والغرور بسعة الرزق والأبناء يوقعان أصحابها في بطر النعمة وإهمال الشكر[3]. ولاسيما بعد الإشارة إلى سبب بطر المكذبين ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ ورأى أبو حيان أنه لما ذكر المتصفون بتلك الأوصاف الذميمة، وهم كفار قريش أخبر تعالى بما حلَّ بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ :

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٧٦ – ٧٧.
(٢) ينظر: نظم الدرر: ٨/ ١٠١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٧٩، ٨١/٢٩.

(اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف)[1] كما أن القصة إحدى طرق الأداء الفني للقرآن، وهو أسلوب تربوي مؤثر، يلامس قلوبهم بأقرب طريق بحيث يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني [2]

وقد بنيت على التأكيد وجاءت على الضرب الإنكاري ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ **وزاد التشبيه** في (كما بلونا) المعنى قوة وتهديدًا بأن يلحقهم مالحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب [3] فهو إذن مثلٌ لعاقبة البطر وتهديد لكبراء قريش الكائدين للدعوة بمالهم من مالٍ وبنين، والمعنى : يوشك أن نأخذهم بغتة كما فعلنا بأصحاب الجنة [4] وجه الشبه : بطر النعمة، والاغترار بالقوة، والإعراض عن الله، وعن شكر النعمة [5].

وقد تكون المشابهة بين أعمال هؤلاء المغترين وهذه الجنة حين تخونهم أشد ما يكونون حاجة إليها [6] وللتمثيل أثره الجليل في تجلية المعاني وترسيخها في النفوس ورفع الأستار عن الحقائق -كما يقول الزمخشري - «حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه شاهد» [7] وهو إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت في معرضه كساها أبهة واستثار لها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي ﷺ : اجعلها عليهم كسني يوسف.

(٢) ينظر : فصل القصة في القرآن في كتاب التصوير الفني في القرآن : ١١٩ وما بعدها.

(٣) ينظر : الكشاف : ١٤٣/٤ ؛ والتحرير والتنوير : ٧٩/٢٩.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ١٠٤/٨ ؛ وفي ظلال القرآن : ٣٦٥٣/٦

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٧٩/٢٩ ، ٨١/٢٩.

(٦) ينظر : نظم الدرر : ١٠٤/٨.

(٧) الكشاف : ١٩٥/١.

من أقاصي الأفئدة صبابةً –كما يعبر الإمام عبد القاهر، ونصه : « واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرزتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفا... »[1]

وتظهر شدة التواطؤ على منع الزكاة عن المساكين بأمور، منها : القسم في قوله ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ الدال على إلزام أنفسهم بتنفيذ ما تداعوا عليه[2]. **وفعل الصرم** يدل على عموم جميع الثمر **وتأكيده بنون التوكيد** يوحي بقوة وشدة في العزم على هذا المنع ؛ دون أن يتركوا منه شيئاً، **ولفظ القسم مع التعبير بالمضارع** في قوله بعدها ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ لاستحضار حالتهم العجيبة وهي بخلهم على الفقراء والأيتام، فكأنهم لمبلغ غرورهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزموا على فعل شيء لا يتوقعون له عائقاً[3] بل تأمل حذف المفعول في ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أي : أحدًا، وما دلَّ عليه من تعميم يطبع في أذهاننا صورة الشر والطمع المستحكمين في أنفسهم !

وفي المقابل تأمل **التعبير بـ (طاف)** في قوله ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ ﴾ الذي يوحي بأن هناك مفاجأة تتم في خفية، وحركة كحركة الأشباح في الظلام، وأريد به هنا تمثيل حالة الإصابة للشئ كله بحال من يطوف بمكان ؛ لدلالة

---

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ١١٧ ، قرأه وعلّق عليه / محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ -١٩٩٠م.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٠.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩٨٩ ؛ والتحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٠ - ٨١.

الطواف على المشي حول الشيء من كل جوانبه. وما أفاده **حرف الاستعلاء (على)** من معنى تسلَّطَ ونزلَ، **وتنكير طائف** دالٌ على عظمة هذا الهلاك الذي أصابها في الليل، ولاحظ كيف دلَّ **حذف الموصوف** على ظهوره، وأنه مما يصيب الجنات من الهلاك، ولعدم تعلق غرض بذكره وتعينه، إذ العبرة في الحاصل به [1] ولما كان هذا العذاب الذي أصابها فأصبحت كالأشجار المحروقة أو الليل المظلم الأسود مقتًا في الظاهر أخبر بأنه لطف وتربية في المعنى بدلالة قوله **(من ربك)** المعروف بالإحسان إليك، فهذا جديرٌ بأن يؤدب قومك؛ ليقبلوا منك كما أدَّب أصحاب الجنة [2]؛ **وذكرُ وقت الإهلاك** ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ وتقييده بوقت النوم تأكيدٌ لمعنى كون الطائف بالليل.

وهنا لفتة عجيبة يدل عليها تقديم العقوبة قبل وقوع الذنب، فقد أهلكها الله، وعجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة؛ للدلالة على أن عزمهم على المنع وتقاسمهم عليه واقعٌ لا محالة، وأمر آخر هو **التعبير بفعل التنادي (وتنادوا)**؛ لأنه مشعر بالتحريض على ذلك أيضاً [3]. **وفعل الأمر (اغدوا)** بمادته يقوي هذا العزم؛ لأن المعنى : بكروا جداً [4]. **وكذا التعدية بـ (على)** فإنها دالة أيضاً على قوة في العزم؛ لأن غدوهم كان ليصرموه؛ وعلى تمكن الوصول إليه؛ كأنه قال : مستقرين على حرثكم [5].

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٨٢.
(٢) ينظر : الكشاف : ٤/١٤٤ ؛ ونظم الدرر : ٨/١٠٥ ؛ والجامع لأحكام القرآن : ص٨٨٩ ؛ والتحرير والتنوير : ٢٩/٨١.
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٨٤.
(٤) ينظر : نظم الدرر : ٨/١٠٥.
(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٨١.

إن **السياق يمضي في السخرية** بهم، فيصورهم أولاً منطلقين في خفوت زيادة في إحكام التدبير؛ ليجبوا الثمر كله لهم **(ليصرمنها)**. ويكشف عن النيّة السيئة المبيتة المؤكدة التي يدلُّ عليها تقديم المبتدأ على خبره الفعلي **في (وهم يتخافتون)** كما تدل مادته، أي يتسارون كأنهم ذاهبون إلى سرقة، من الخفوت وهو الخمود[1] **مع دلالة الفعل المضارع** على الاستمرار واستحضار الحالة.

ثم تجيء **الكناية** في قوله: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ للمبالغة في نهي أنفسهم عن دخول المسكين وإلا فهو نهي للمسكين في الأصل[2].

ثم يسخر منهم بقوله ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ وهنا تبلغ قوة السخرية بهم في مقابل قوة تعاظمهم، أجل إنهم لقادرون على المنع والحرمان، و لكن أي حرمان، وأي منع ؟! إنه حرمان أنفسهم ومنع الخير عن أنفسهم ! فإن معنى الحرد في اللغة : الجد والقصد، وفي سياق الآية المنع عن حدة وغضب[3]، يقول ابن عاشور مبينًا بلاغة التهكم بهم من خلال هذا الأسلوب القرآني : « وفي إيثار كلمة (حرد) في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه أي بأن يتعلق (على حرد) بـ (قادرين) أو بقوله (غدوا) فإذا علق بـ (قادرين) فتقديم المتعلق يفيد تخصيصا أي قادرين على المنع، أي : منع الخير، أو منع ثمر جنتهم غير قادرين على النفع، والتعبير بقادرين على الحرد دون أن يقول : (وغدوا حاردين) تهكم؛ لأن شأن فعل القدرة أن يُذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها. قال تعالى (لا يقدرون على شيء مما

---

(١) ينظر : نظم الدرر : ١٠٥/٨.
(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٠٥/٨ ؛ والتحرير والتنوير : ٢٩/ ٨١.
(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٢٠.

كسبوا) وقال (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) فقوله (على حرد قادرين) على هذا الاحتمال من باب قولهم : فلان لا يملك إلا الحرمان أو لا يقدر إلا على الخيبة »[1]

لقد جاء التعبير بلفظة **(حرد)** الدالة على قصد المنع مع شدة وغضب وجزم بالأمر، وقلة الخير على طريقة التقابل المعنوي بين الفعل والجزاء ؛ فإنهم لما خبثت نياتهم وطلبوا حرمان المساكين عاجلهم الله بالحرمان والمسكنة ![2]

وبذلك يظهر أن **استخدام (قادرين)** هنا من عكس الكلام ؛ للتهكم بهم (٣). وفيه ما فيه من لمس نفوس من ضُرِب لهم المثل، وهم كفّار قريش. وها هم سرعان ما فوجئوا بعاقبة اغترارهم **دلّت عليه الفاء في** ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ كما دلّت على قرب الجنة من منزلهم وعلى الفور والبداهة (٤). وتأمل **التأكيد في (إنا لضالون)** وما يحمله من دلالة على قوة التحسر والندم من عاقبة البطر ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾ والإيذان بتهيؤهم للتوبة بعد أن حاقت بهم عاقبة البطر والمنع [5].

هنا يتقدم أعقلهم وأصلحهم الذي كان قد خالفهم الرأي لكنه لم يعزم على مخالفتهم، فناله الحرمان الذي نالهم [6]، وغاية الخيبة نلمحها في **الاستفهام التقريري** على لسانه ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ فإن فيه تقريرًا بالأوبة

---

(١) التحرير والتنوير : ٨٢/٢٩.
(٢) الحرد ، من حاردت السنة : إذا لم تمطر ، و الإبل إذا مُنعت درها ، وحرد إذا أسرع. المفردات في غريب القرآن : ١٢٠ ؛ الكشاف : ١٤٤/٤.
(٣) نظم الدرر : ١٠٦/٨ ؛ والتحرير والتنوير : ٨٥/٢٩.
(٤) التحرير والتنوير : ٨٥/٢٩.
(٥) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٥ ؛ وفي ظلال القرآن : ٣٦٦٧/٦.
(٦) في ظلال القرآن : ٣٦٦٦/٦.

والاعتراف بالذنب مع العتاب والتوبيخ [1]، ثم تسبيحهم **وتعبيرهم بالاسم** ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ دال على أنهم راسخون في إيقاع الأشياء في غير مواقعها[2]، والإقرار بالذنب وتأكيده مع **حذف المفعول في (ظالمين)** للدلالة على عموم ظلمهم لأنفسهم، وظلمهم المساكين بمنعهم حقهم [3].

ثم يجيء تصوير الحسرة **في قوله** ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ فإن اختيار **فعل الإقبال** فيه عناية باللوم، وصيغة التلاوم تصوِّر في ذهنك حالة تشبه المهاجمة والتقريع في لوم بعضهم بعضًا(٤) يجعلك تشعر بهم وقد جاء كل واحد منهم يلوم الآخر، لقد صوَّر هذا التعبير التقاذف الواقع بينهم بغاية الإجمال ونهاية الإيجاز، ثم هاهم يتركون التلاوم؛ ليعترفوا بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة عسى أن يغفر الله لهم، ويعوضهم من الجنة الضائعة، وإذا تأملنا **الإطناب في كلامهم بعد حلول العذاب** فسندرك أثره في نفوس أهل مكة الذين ضُرب لهم المثل، وكأنه تلقين لهم بأن في مقدورهم الإنابة والتوبة إن هم بادروا بنبذ الكفر [5].

وتكرر لفظ الربوبية على لسانهم مضافاً إليهم في كل مرة ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ و﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ ﴾ ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا ﴾ الذي أحسن إلينا بتربية هذه الجنة بإهلاك ثمرها الآن تأديباً لنا أن يبدلنا خيراً منها [6]. والخبر في جملة ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، عبدالعظيم المطعني: ٤/ ٢٨٧.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٥؛ نظم الدرر: ٨/ ١٠٧.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٧.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٧.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٧.
(٦) ينظر: نظم الدرر: ٨/ ١٠٧ - ١٠٨.

مستعمل في التقريع على طريقة التعريض بغيره والإقرار على نفسه مع التحسر والتندم بما أفاده (يا ويلنا) وذلك كلام جامع للملامة كلها [1]

وهنا تبرز ظاهرة أسلوبية تؤدي دورها في التكثيف الفني للقصة، وهي العطف بين الأحداث بحرف الفاء دون الواو؛ (فطاف.. فانطلقوا..، فلما.. فأقبل..) بحيث يطوى الكلام ولا يؤثر على أحداثها الأساسية [2] وهذا يتلاءم مع الطبيعة الدلالية لحرف الفاء؛ لأنها تحرك الزمن في الفعل الماضي وتمده، وتمطله حتى تبلغ به أول الزمن في الفعل الذي يليه [3] والذي يعنيني هو علاقتها بمقصود السورة، وهو أن هذا التكثيف الذي تؤديه الفاء يُسلمنا إلى العاقبة سريعًا وهو الأمر الذي سيقت له ليحدث الأثر النفسي المطلوب في نفوس الخصوم ويروعهم بها، ولما كان المقام مقام ترهيب قال مُهددًا ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ [4] هذه هي الغاية مختصرة من ضرب المثل بهم، والقصد بهذا مشركو مكة (٥) ولأن إنكارهم لأمور الآخرة أشد من إنكارهم لأمور الدنيا أكد قوله : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ ليقع كوقع الزلزلة في نفوس المشركين المغترين بقوتهم وأقوالهم. والذي أدى هذا النفخيم والتهويل : المجيء بالمسند إليه اسم إشارة للبعيد، وإظهار لفظ العذاب الثاني في مقام إضماره، القوة في القصر بتعريف الطرفين : ذلك العذاب وفي هذه الآيات وهذا التهكم بهم والسخرية منهم مالا يخفى من تسليته ﷺ وأن الله معه بالنصر والتأييد.

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٨٧٩.
(٢) ينظر : تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ٦٤.
(٣) ينظر : دلالات التراكيب : ٣٤٤ ، نقلا عن كلام الشيخ محمود شاكر.
(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/ ٩٠.
(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٦٦.

ومن التقابل بين جزاء الدنيا والآخرة لهؤلاء ينتقل إلى **التقابل بين جزاء أولئك الكافرين وجزاء المتقين** ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ هذا الضرب الإنكاري أدى الغرض البلاغي منه في الآية، وهو تعميق البشارة في نفس النبي ومن معه من المؤمنين المتقين، بدءًا بتقديم المسند على المسند إليه والعندية التي هي عندية كرامة واعتناء، والجمع في جنات مع لفظ النعيم الذي انفرد القرآن باستعماله في نعيم الآخرة دون النعمة التي وردت أول السورة في معنى نعيم الدنيا. يقول الراغب الأصفهاني: «النعيم هو النعمة الكثيرة»[1]، وما فيه من تبشير لا يخفى؛ لينشرح صدر نبيه ﷺ والمؤمنين معه بهذه العاقبة وهذا الثواب[2].

* * *

(١) المفردات: ٥٠١.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٩٠.

المبحث الثالث

دراسة البناء التركيبي للمقطع (١) أو الختام

مجادلة الأعداء والأمر بالصبر وضرب المثل بيونس عليه السلام.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[القلم: ٣٥-٥٢]

ينتقل السياق من نسق القصة بعد أن أدت دورها في تهديد أعدائه عليه السلام وشرح صدور أصحابه لعاقبة المتقين إلى نسق الاستفهام ليؤدي الدور ذاته،

---

(١) والمقصود بالمقطع هو ختام السورة ، يقول البقاعي في ختام تفسير سورة البقرة : « وقد بان بذكر المنزل والإيمان به والنصرة على الكفار بعد تفصيل أمر النفقة... رد مقطعها على مطلعها ، وآخرها على أولها » كما يدل عليه صنيع السيوطي في كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ومضمونه بيان علاقة ختام السورة بمطلعها. أما في الشعر فقد يقصد بها أواخر الفصول ، ذكره ابن رشيق معلقا على إجابة العتابي على من سأله عن الاستعانة في الشعر (ما الاستعانة ؟) فقال : « أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : ياهناه اسمع مني » قال ابن رشيق : « وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول » العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني : ١/ ٢١٥ ، ت : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت (ط ، ت : د).

وقد جاء في سبب نزول هذه الآيات أن عتبة بن ربيعة قال : « لئن كان ما يقول محمد لأصحابه من الجنة والنعيم حقًا لنحن أفضل منهم في الآخرة »[1]

ولهذا يستكمل البناء التركيبي للسورة في هذا الجزء رسم ملامح أخرى من الرعاية للنبي ﷺ تتمثل في التهديد العنيف لأعدائه، وتحديهم وإحراجهم بالسؤال حتى ينتهي بهم السياق إلى مشهد رهيب يزلزلهم، ويُسكبُ الطمأنينة في قلب النبي والمؤمنين متخذًا أسلوب الاستفهام طريقًا لهذا التصوير؛ فيبدأ **بالاستفهام الاستنكاري التوبيخي** الأول ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ منكرًا ومكذبًا مع ما يحمله من تجهيلٍ لهم، نافيًا المساواة بين المسلمين، وهم العريقون في الانقياد لأوامرنا. والمجرمون الراسخون في قطع ما أمرنا به أن يوصل[2]، ثم يجيء **الاستفهام الاستنكاري التعجبي الثاني:** ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ على طريقة الالتفات من العام إلى خطابهم مباشرة، وهو التفات المغضب المنبه على ماهم فيه من اعوجاج الفطر والفكر[3]. فعلام تبنون أحكامكم وكيف تزنون القيم حتى يستوي عندكم من يسلمون ومن يجرمون ؟!

ومن الاستنكار والإنكار والتوبيخ ينتقل إلى السخرية والتهكم : ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يتهكم بهم ويسخر بأسلوب الاستفهام أن يكون لديهم كتاب يدرسونه، يستمدون منه هذا الحكم الذي لا يقبله عقل ولا عدل. كتاب يوافق هواهم، لهم فيه ما يختارون وما يشتهون ! ويبلغ التهكم بهم مبلغه في إيثار **التعبير بـ (تخيرون)** وتخيَّر الشيء واختاره أخذ

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٤٨١.
(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٩١.
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٩١.

خيره، وهذا قمة التهكم به[1]؛ لأن المعنى: إن في ذلك الكتاب ما تختارون من الجزاء، ثم التعريض بهم في قوله **(فيه تدرسون)** فإنه فعل يشيرُ إلى قمة التعمق في الدراسة والتبصر فيما يتضمنه. وهم أميون لا كتاب لهم. ولما جاءهم كتاب لهدايتهم وإلحاقهم بالأمم ذات الكتاب كفروا به وكذبوه[2] مع **تكرُّر الظرف (فيه)** في قوله (إن لكم فيه) فهو توكيدٌ لفظي[3] **ويأتي الاستفهام الإنكاري التعجبي** في قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ لتبلغ السخرية بهم مداها. وهو أن تكون لهم مواثيق على الله سارية إلى يوم القيامة. وليس هذا شيء، فعلام إذن يتكلمون وإلى ماذا يستندون؟![4] **وفي التعبير بقوله (بالغة)** سخرية عميقة، وهي **استعارة** لمعنى مغلظة، شُبهت بالشيء البالغ إلى نهاية سيره كقوله ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقد زاد التهكم قوة تقديم الجار والمجرور (لكم) وتكرره في كل مرة بما لا تخفى. ذلك أن تقديم بعض المتعلقات على بعض في البلاغة العربية «يجري على نسق دقيق من مراقبة المعاني، ومتابعة الأحوال»[5] ثم **التهكم الساخر الأعمق والأبلغ** الذي يكاد يذيب الوجوه من الحرج والتحدي الساخر المكشوف: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾؛ لأن الأيمان وهي العهود عادة تقتضي الكفلاء. فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود. كمل ذلك بأن يطلب

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٦٨؛ الكشاف: ١٤٦/٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٩٣.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٩٤.
(٤) ينظر: نظم الدرر: ١١١/٨؛ في ظلال القرآن: ٣٦٦٥/٦.
(٥) خصائص التراكيب، محمد أبو موسى: ٤٠٣.

منهم أن يُعيّنوا الكفلاء[1] وجعل الزعيم أحدًا منهم زيادة في التهكم[2]، ولما نفى أن يكون لهم في تسويتهم الكفار بالمسلمين دليل عقلي أو نقلي أو عهد وثيق، أتبعه ما يكون من عند غيره إن كان ثمّ غير، فقال بأسلوبي الاستفهام والأمر معا، المشوبين بالسخرية والتعجيز: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾[3] **وإضافة الشركاء إلى ضميرهم** لإبطال صفة الشركة في الإلهية عنهم، وتجاهل أن هناك شركاء عند هؤلاء. فإن الإلهية الحقة لا تكون نسبية بالنسبة إلى فريق أو قبيلة[4].

ثم يأتي **الشرط بالتحدي الصارم** ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فيكون ذلك أعظم دليلٍ على إبطالهم ولكن متى يدعونهم ؟! ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وهنا يجيء التهديد المرعب المزلزل، بعد أن نفى جميع الشبه التي يمكن أن يتشبثوا بها، وبعد تفتيق الأدلة، أتبع ذلك هذا التهديد المبني للمفعول به؛ لأن المخيف وقوع الكشف لا من يوقعه[5]. **ولفظ الكشف كناية** عن تفاقم الأمور وخروجها عن حد الطوق. وهو مثلٌ لشدة الحال، وصعوبة الخطب، وبخاصة أنه محذوف الجواب، والتقدير: يوم يكشف عن ساق ويكون كيت وكيت. ولكنه حُذِف **للتهويل** وللدلالة على وقوع مالا يوصف لعظمه، **يزيده** تهويلًا وتعظيمًا **تنكير(ساق)**؛ أي يشتد الأمر غاية الاشتداد؛ لأن من اشتد عليه الأمر وجدَّ فيه شمر عن ساقه لأجله، وشمرت حرمه عن سوقهن كناية – في تعبيرات اللغة العربية المأثورة

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٩٥.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٩٥.
(٣) ينظر: نظم الدرر: ١٨/ ١١١.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٩٧.
(٥) ينظر: نظم الدرر: ٨/١١١.

– عن الشدة والكرب والعجز والضيق (١) لأنهم لا يدعون إلى السجود تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا.[٢] وهم لا يستطيعون السجود مع شدة محاولتهم ومعالجتهم لأنفسهم لتطوع لهم بما

تفهمه هذه الصيغة **(فلا يستطيعون) والنفي تحسيرٌ** لهم وتنديم على ما فرطوا فيه[٣]

إن القرآن يوقف هؤلاء المتكبرين « وجهًا لوجه أمام هذا المشهد كأنه حاضرٌ اللحظة . وكأنه يتحداهم فيه أن يأتوا بشركائهم المزعومين وهذا اليوم حقيقة حاضرة في علم الله . لا تتقيد في علمه بزمن واستحضارها للمخاطبين على هذا النحو يجعل وقعها عميقًا حيًا حاضرًا في النفوس»[٤] ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ ليس في أعضائهم ما يمنع كما في يوم القيامة . ولكنها الشماخة والكبر. وربما ظُن أن المانع لهم الكبر كما كان في الدنيا، فقال نافيا ذلك ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[٥] « والأبصار الخاشعة، والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة . وهي تذكر بالتهديد الذي جاء في أول السورة **(سنسمه على الخرطوم)** فإيحاء الذلة والانكسار ظاهر عميق مقصود »[٦] وبينما هم في هذا الكرب يجيئهم **التهديد الرعيب الذي يهز القلوب في صورة**

---

(١) إما لأنه وقته قد فات . وإما لأنهم كما وصفهم مهطعين مقنعي رؤوسهم وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة منهم . يقول البقاعي : « لأن ظهورهم وأعضاءهم تكون طبقا واحدًا لا ينثني » نظم الدرر : ٨/ ١١١ -١١٢ وينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٦٨.

(٢) ينظر : الكشاف : ٤/ ١٤٧ ؛ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : ٤٣٢.

(٣) ينظر : الكشاف : ٤/ ١٤٧ ؛ نظم الدرر : ٨/ ١١٢.

(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٦٧.

(٥) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ١١٣.

(٦) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦٦٨.

الأمر أيضًا ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ إنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، وهي كلمة يقولها المغتاظ إذ اشتد غضبه، وكره الشفاعة لمن غاظه. والمعنى: خلِ بيني وبينه. فإني عالمٌ بما يجب أن يفعل بمن يكذب بالقرآن. فلا تشغل قلبك بشأنه تسلية لرسول الله ﷺ. وتهديدًا للمكذبين [1] وهذا يدل على أنه ﷺ كان يجد مشقة عظيمة لا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه وتعالى. وكان علمه باقتداره سبحانه على ما يُراد منه أقر لعينه؛ لذلك قال على طريقة **الالتفات لضمير المتكلم المفرد** ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ زيادة في تسكين قلبه وشرح صدره بأنه من يتولى ذلك بنفسه فكيف لنفسه الشريفة أن تقلق بعد ذلك ؟! [2]. ولم يقل (فذرني والمكذبين). بل أفرد الضمير في (ومن يكذب) للدلالة على تهديد كل واحد من المكذبين [3] « إنه تهديد مزلزل. والجبار القهار القوي المتين يقول للرسول ﷺ: خلّ بيني وبين من يكذب بهذا الحديث. وذرني لحربه فأنا به كفيل !... واسترح أنت ومن معك من المؤمنين فالحرب معي لا معك ولا مع المؤمنين. وهذا عدوي وسأتولى أمره فدعه لي. أي هول مزلزل للمكذبين ! وأي طمأنينة للنبي والمستضعفين ! » [4]

ويأتي **جمع الضمير في فعل الاستدراج (سنستدرجهم)** بعد الإفراد في (فذرني) للتعظيم والتهويل. أي: فنأخذهم بعظمتنا إلى الهلاك درجة درجة. واستدراجهم بما تواتر عليهم من النعم لعدم الشكر؛ فيؤخذون من مأمنهم على غفلة.(٥)« وليس أكبر من التحذير، وكشف الاستدراج والتدبير عدلًا

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٤٧/٤؛ التحرير والتنوير: ١٠٠/٢٩.
(٢) ينظر: نظم الدرر: ١١٣/٨.
(٣) التحرير والتنوير: ١٠٠/٢٩.
(٤) في ظلال القرآن: ٣٦٦٨/٦. (بتصرف)
(٥) ينظر: الكشاف: ١٤٧/٤؛ التحرير والتنوير: ١١٣/٨.

ورحمة. والله سبحانه يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عدله ورحمته في هذا التحذير وذلك النذير. ويقول لرسوله ﷺ: ذرني ومن يكذب بهذا الحديث، وخل بيني وبين المغترين بالمال والبنين والجاه والسلطان، فأملي لهم، فيطمئن رسوله ويحذر أعداءه، ثم يدعهم لذلك التهديد الرعيب»[1].

وليس أجلب **لقوة حسرتهم** عند حلول المصائب بهم من قوله ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الأسباب والأفعال والأحوال التي يحسبونها تأتيهم بخير فتنكشف لهم عن الشر، فأي تسلية للنبي أعظم من هذه التسلية![2] ﴿وَأُمْلِي﴾ **بضمير المفرد** أي أؤخر أنا وحدي في آجالهم وأوسع في جميع ملذاتهم؛ ليزدادوا إثمًا[3] **وسمّي إحسانه وإنعامه** كيدًا كما سمّاه استدراجًا[4]؛ لأنه يبدو لهم في ملابس الإحسان وخِلَع البر والامتنان، وهو هلاك وأسباب هلاك!

وتأمل **وصف الكيد بـ (المتين)** والسر أنه في غاية القوة حيث كان حاملًا للإنسان على إهلاك نفسه باختياره[5]، ثم كيف **جمع الفعل** الذي تقوم به الملائكة بأمره ﷻ، فقال سنستدرجهم وأفرد الفعل الذي لا يصح إلا منه ﷻ وهو الإملاء!

وبعد إبطال معاذيرهم واحدًا بعد الآخر بلغ **استفهام النفي والاستعارة التصريحية** في قوله: ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ التي تنفي أن الرسول يفرض عليهم الأجور البالغة نظير إيمانهم، فتثقلهم الأجور والمغارم، كأن ثقل الغرامة هو الذي يدفعهم إلى الإعراض والتكذيب ولذلك

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٦٦٨.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/١٠١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/١١٣.
(٤) ينظر: الكشاف: ٤/١٤٧.
(٥) ينظر: نظم الدرر: ٨/١١٤.

قدّم (المغرم) على (مثقلون) لأنها محط الإنكار، وللاهتمام بموجب المشقة قبل ذكرها. وفي مثقلون استعارة تصريحية تبعية شبه فيها بهاظة المغرم وهو أمر معنوي بوطأة الأحمال المضنية [1]، ونلمح في **الاستفهام الإنكاري** ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ السخرية بهم، كأنّ علمَ الغيب صار عندهم وليس عند الله، ولذلك قدم الظرف (عندهم)؛ لأنه محط الإنكار.

وبعد إقرار حقيقة أن حرب الكافرين قد قضى الله أنه هو الذي يتولاها مهما بدا أن للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين دورا في هذه الحرب.. **يجيء الأمر وضرب المثل بيونس** ليوجه نبيه إلى الصبر على تكاليف الرسالة وعلى عبء هداية الأجيال جميعها، ويذكره بتجربة أخٍ له، استثقل أعباء الرسالة؛ لما فيها من شدة معالجة الخلق، فابتلي وامتحن باللبث في بطن الحوت، وهو يونس عليه السلام [2]؛ وإضافته للحوت بلفظ المصاحبة، ولا يخفى ما في هذا التعريف من تصوير الحالة النفسية التي أصابت النبي من جراء إتهامه بالجنون وأنه ضاق بهم وضجر باتهامهم حتى كان أقرب لضجر يونس عليه السلام، لذلك نهاه عن هذا الضجر، أو العجلة وعدم الصبر، وألا يكن منه ما يلجئه إلى مثل نداء يونس [3] ولاحظ كيف سمّى ما أوحى الله إليه من التضرع والتسبيح وطلب التوبة **(نعمة)**، وهذه المرة الثانية التي يمن الله على نبيه بلفظ النعمة التي لم يستعملها القرآن إلا فيما يمن على الناس في هذه الحياة الدنيا، سواء كانَ نِعما مادية أو روحية وهذه الدلالة مطردة في القرآن في الحديث عن النعم

---

(١) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام، المطعني: ٢٩٣/٤.

(٢) صاحب الحوت هو يونس عليه السلام؛ أُطلق عليه هذا اللقب هنا، و(ذا النون) في سورة الأنبياء ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴿٨٧﴾﴾ [آية: ٨٧]؛ لأن الحوت التقمه، ثم قذفه، فصار (صاحب الحوت) لقبًا له.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ١١٤/٨؛ التحرير والتنوير: ١٠١/٢٩.

الدنيوية[1] ؛ وقد وردت في المطلع أيضًا في قوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) وإضافتها إلى الله بلفظ الربوبية الذي شاع في هذه السورة للإيماءة إلى أنها نعم كثيرة، وأنه أنقذه إنقاذًا خارقًا للعادة[2]. **مع ما في تنكير نعمة** من الدلالة على تفخيمها وتكثيرها ؛ كأنها مكررة مضاعفة، **والتدارك على صيغة التفاعل** للدلالة على أنه إدراكٌ عظيمٌ كأن كلاً من النعمة والمنة تريد أن تدرك الآخر[3] وهو يطوي هذا المعنى بإيجاز بديع ويشير إليه إشارة بليغة بجملة ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ ويجيء الختام ليرد المقطع على المطلع ويكشف السبب الذي من أجله تآزرت وحدات السورة بكل مكوناتها اللغوية لترسم العناية الربانية بأمره، وكيف كان يحوطه ويحتضنه ويأخذ بيده ؛ ذلك أن هذه الآية تقدم صورة تنطق بالحالة النفسية لكبراء مكة تجاه الرسول ﷺ من خلال حركة العين المحدقة بالعداوة والبغضاء، مما يؤدي الى إيذاء الرسول الكريم عبر نظراتهم المليئة بالحقد والكراهية : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ فهم من شدة تحديقهم بك، ونظرهم إليك بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك ويهلكونك (ليزلقونك)، وهذه النظرات متجددة دائمة الحدوث متكررة تكاد تؤثر في أقدام الرسول، فتجعلها تزل وتنزلق وتفقد توازنها على الأرض[4] **واختار**

---

(١) بينما يستخدم لفظ (النعيم) في مقام الحديث عن إنعام الله على صالحي عباده في الآخرة. دراسات جديدة في إعجاز القرآن – مناهج تطبيقية في توظيف اللغة ، د. عبدالعظيم المطعني : ٨٨.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/١٠٧.

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٨/١١٦.

(٤) ينظر : الكشاف : ٤/١٤٨ ؛ نظم الدرر : ٨/ ١١٧ ؛ التحرير والتنوير : ٢٩/ ١٠٣.

يزلقونك مضارعا؛ لأنها الأدل على عمق الغيظ ؛ فإنها بمادتها وصوتها وصيغتها تفضي إلى السقوط غالبًا على وجه الاستعارة المكنية ؛ حيث شبهت الأبصار بالسهام.[1] كما تصوِّر حقيقة نظراتهم التي تُزل وتُزلق، وهي في الوقت نفسه تكشف عن ذلك الشعور بالغيظ المحموم، وبالحسد العميق الذي كانوا يسرونه للنبي ﷺ[2]، وجاء الفعل **(ويقولون)** بصيغة **المضارع** للدلالة على أنهم مازالوا يجددون القول حينا بعد حين (إنه لمجنون)، ثم يجيء التعبير بالفعل الماضي (سمعوا) بعد المضارع (يزلقونك) التفاتٌ للتذكير بالحال الماضية.

ولاحظ كيف جاء بناء مقولتهم على هذا النحو من **البناء المؤكد** بالمؤكدات اللفظية ؛ حيث جاء بصيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبوت، مقرونة بأن المؤكدة، واللام الواقعة في خبر إن، كل ذلك لمحاولة تأكيد ادعائهم ؛ لغلبة شك الناس في جنونه، كيف وهو الصادق الأمين عندهم، إنه يدل دلالة قوية على تهافتها، وأنها دعوى باطلة، واتهام لا حبكة فيه ولا براعة ؛ ذلك أنه ﷺ في غاية البعد عما يشين، لكنها حيلة وأسلوب من لا يجد إلا الشتم الغليظ، يطلقه بلا تمهيد ولا برهان كما يفعل السذج البدائيون ؛ إذ لم يجدوا في الذكر الذي يسمعونه مدخلا للطعن، فانصرفوا إلى الطعن في

---

(١) عن مجاهد ينفذونك بنظرهم ، وقال الجامع لأحكام القرآن : يقال زلق السهم وزهق إذا نفذ. قال الراغب : قال يونس : لم يسمع الزلق والإزلاق إلا في القرآن. ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/١٠٧ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٢٥٥.

(٢) ينظر : تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ٩١.

صاحبه بالجنون [1]، أو أن ما يقوله تخاليط من يُصرعُ بالجن ؛ ليشككوا في كلامه فيصرفوا دهماءهم عن سماعه [2]

فأبطل الله فريتهم بأن ما جاء به شرف ورفعة للعالمين بأسلوب قصر القلب [3] تأكيدًا ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وقد بين عبد القاهر بلاغة القصر بهذا الطريق ودلالته على الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه [4] فقد كانوا ينكرون أن يكون ذكرًا ورفعة لهم، ولذلك يقول أبو موسى : « وهذا هو رأس الأمر في هذا الطريق فلا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد »[5] وإذا ثبت بهذا التأكيد وهذه القوة التي دلَّ عليها القصر بالنفي والاستثناء أن القرآن ذكرٌ فقد بطل أن يكون مبلغه مجنونًا، وبذلك يكون الختام مؤكدًا لمضمون المطلع، والتوكيد لونٌ من ألوان العلائق، ومظهرٌ من مظاهر الارتباط بين المطلع والختام نبه إليه الرازي في تفسيره[6] « وهو أن تكون معاني الخاتمة

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٦٦٨/٦.

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١١٨/٨.

(٣) هو نوع من أنواع القصر الإضافي ؛ سمي بذلك لأن المتكلم يقلب اعتقاد المخاطب. ينظر : دلالات التراكيب : ٥٧ -٥٨.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٢٧.

(٥) دلالات التراكيب : ١٠٤. جاءت الآية على الأصل من القصر بالنفي والاستثناء من مراعاة حال المخاطب المنكر ، وإن كان الشيخ أبو موسى يرى أن عبد القاهر وجمهور البلاغيين أغفلوا ضروبًا من القصر بالنفي والاستثناء لا يجري فيهما نظرٌ لحال المخاطب وإنما هو حال المتكلم وحسه بالمعنى وأن «النفي لمحض التوكيد وإفراغ الحقيقة في قالب متين موثق ؛ لتقريرها وتوكيدها في النفوس بهذه اللهجة الحاسمة » وللاستزادة ينظر : أسلوب القصر في القرآن الكريم – دراسة تحليلية بلاغية ، نجاة محمد عبدالعزيز : ٨ ، رسالة تخصص (ماجستير) ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٨م ؛ القصر في سورة الأعراف دراسة بلاغية تحليلية ، د. هند نايتة ، مبحث (القصر بالنفي والاستثناء) ٧٦ -١١٤ ، مجلة كلية دار العلوم ، العدد (٨٣) ، جامعة القاهرة.

(٦) اعتنى الرازي في تفسيره بكثير من صور التناسب في البيان المعجز. ينظر : التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية ، للباحثة : ٧٣ - ٨٨ ، رسالة

مطابقة في مغزاها لمعاني الفاتحة، فتواطىء الدلالة الدالة، فتقويها وعليه أكثر سور القرآن »[1]

والتأمل الدقيق للمطلع والختام من العوامل الهادية للمقصود – كما سبق – فقد كانا من السبل والمفاتيح الهادية إليه، وكان التقاؤهما على هدفٍ واحد هو الكاشف عن الخيط الذي يربط بين أوصالها، والروح التي تهيمن على أغراضها، وهو تأييد النبي ودفع هذه الفرية عنه ﷺ؛ تأييدا له بعد تطاول المشركين عليه عامة، واتهامه بالجنون خاصة الذي ينتظم أغراض السورة؛ يشرق هذا المقصود في المطلع. ويستقر في الختام[2] بعد أن يسري في أوصال السورة ومعانيها؛ ففي المطلع يجيء **أسلوب القسم** ليدفع عنه هذه التهمة ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ثم تمضي السورة تذب عنه ﷺ وتثبته وتواسيه، وتتصدى لأعدائه، وفي الختام يجيء التنديد بوصفهم له عليه السلام بالجنون بأسلوب القصر: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ كما نفى التهمة عنه عليه السلام في المطلع بأسلوب القسم. يقول الرازي في بيان هذه العلاقة التي تدلك الألفاظ والتراكيب فيه عليها دون حاجة إلى طول تأمل وإنعام فكرة: « قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ وهو على ما افتتح به السورة ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فإنه تذكيرٌ لهم وبيان لهم وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في

الدرجة العالية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل ١٤٢٣هـ؛ وقد أفردته د. منال المسعودي بدراسة مستقلة، هي(التناسب في تفسير الإمام الرازي – دراسة في أسرار الاقتران) مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

(١) التفسير الكبير: ٢٩ / ٦١٩.

(٢) ينظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله الغماري: ١٢٠.

عقولهم من أدلة التوحيد، وفيه من الآداب والحكم مع أنه من أدل الأمور على كمال الفضل والعقل »[1] فأكّد أن الخاتمة استصحبت معنى الافتتاح بتكرار ذكره ليكون في هذا العنصر المسترجع دلالة على أنه قطب مدارها[2]

كذا عدها البقاعي استحضارًا لمعاني الافتتاح في إزالة ما وصف به النبي ﷺ من أن ما يقوله من تخاليط من يصرع بالجن، وتأكيد ما جرى في أولها من القسم على كونه على خلق وذكر عظيم وأن في وصف القرآن في الختام بأنه ذكر للعالمين إيماءً قويًا إلى قوله في المطلع : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فليس الذكر والرفعة سوى الخلق العظيم، وأن وصفهم له عليه السلام بالجنون في الختام أيضا منطبق على قوله في المطلع ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ إذ يقول : « قد رجعت خاتمتها على فاتحتها بالنون والقلم وما يسطرون من هذا الذكر، وسلب ما قالوا فيه من الجنون والإقسام على الخلق العظيم الذي هو الذكر الحكيم »[3].

* * *

(١) التفسير الكبير : ٣٠ / ١٠١.

(٢) ينظر : التناسب في تفسير الإمام الرازي – دراسة في أسرار الاقتران ، د. منال المسعودي : ١٦٩.

(٣) نظم الدرر : ١١٨/٨ ؛ وينظر : في ظلال القرآن : ٣٦٦٨/٦.

الخاتمة

وبعد: لقد عمد هذا البحث إلى الاستدلال لفكرة قائمة على الربط بين البناء التركيبي للسورة ومقصودها ومحاولة الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يمكن أن يشكل المضمون أو المقصود الأعظم للسورة منهج البناء التركيبي للسورة؟

هذا ما سعت إليه الدراسة ووضعته نصب عينيها، وقد كشف تحليلها البلاغي أن موضوع السورة هو رعاية النبي بإظهار علمه وكمال خلقه وتولي أعدائه. وأن البناء التركيبي للسورة بكل دقائقه قد قام بدوره في رسم معالم هذا المقصود، وأن هناك علاقة عضوية حية بين مضمون السورة ومنهج بنائها التركيبي بدءا بالافتتاح بحرف النون دون غيره من حروف التهجي مع أسلوب القسم وانتهاءً بالخبر المؤكد بأسلوب القصر، وكل جملة من جمل السورة بأنساقها المختلفة المتجددة قد أدت وظيفتها في رعايته ﷺ وتأييده، هذا على الإجمال أما على التفصيل فقد خلصت إلى:

- البراعة في استهلال السورة بما يتناسب ومضمونها، وقوة دلالة المطلع المشرقة على مقصود السورة؛ ففي اختيار الحرف نون الذي يكثر دورانه في الكلمات التي تحمل معاني ظهور الأشياء وعلمها وإدراكها كالنور والنار والنيل والنباهة والنقاء والنصح والنبأ دلالة قوية على ظهور علمه وكمال أخلاقه عليه السلام وكمال دعوته. مع ما فيه من رقة وليونة تتناسب ورعاية النبي ﷺ فضلا عن قوة أسلوب القسم في المطلع في نفي التهمة عنه ﷺ.

- التناسب البديع بين المطلع والختام، واسترجاع المعنى نفسه بأبنية متقاربة وأساليب بلاغية متقاربة، والتقاؤهما معًا على نفي تهمة (الجنون) التي آلمته عليه السلام وأحزنت قلبه بأسلوب يتسرب إلى وجدانه في كل مرة بألطف

طريق، فأسلوب القسم في المطلع يقابله أسلوب القصر في الختام لتأكيد الحقيقة ذاتها.

- اختصاص السورة بإيثار التعبير عن الله ﷻ بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية (الله) في عشرة مواضع

من السورة : مضافًا إلى ضمير نفسه الشريفة ﷺ (ربك) أربع مرات، وإلى ضمير أصحاب الجنة ثلاث مرات (ربنا) ومرة واحدة لضمير المتقين (عند ربهم)، وفي موضعين في الختام في شأن يونس عليه السلام (نعمة من ربه، فاجتباه ربه) وما فيه من الإيماء باتساع فيوض العطاء المناسب لتأييده ورعايته وإيناسه ﷺ.

- اصطفاء مادة الفعل (يدهن ويدهنون) خاصة في هذه السورة دون غيرها من القرآن، ودورها في رسم

ملامح عقيدتهم المهزوزة للنبي عليه السلام وشرح صدره بعدم رسوخ عقيدتهم في مقابل ثبات إيمانه ومن معه من المهتدين.

- اصطفاء صيغ المبالغة (فعال وفعيل) في ذكر صفات المكذبين، وبلاغتها في ذم أعداء النبي ﷺ ودورها

في احتضانه والتسرية عنه عليه السلام حيث جاءت أربع صفات على صيغة فعّال، وأربعٌ على وزن فعيل ؛ لما تحمله من معاني التكرار والمداومة على الفعل حتى صار كالصنعة أو كالسجية.

- اختيار أسلوب القصة وضرب المثل بقصة أصحاب الجنة ودوره في تهديد كبراء قريش المغترين بأموالهم بالمصير نفسه، ليمضي النبي راسخًا مطمئن الكيان، مستبشرًا بمعية الله غير عابئٍ بتهديداتهم واتهاماتهم.

- نهوض ست جمل إنشائية استفهامية بأبلغ التهكم بهم والسخرية منهم.

- دور الاستعارة التهكمية الساخرة في التعبير بالوسم على الأنوف (سنسمه على الخرطوم) بالتنفير منهم والتضخيم لعيوبهم مما يسمى في العصر الحديث بالرسم الساخر (الكاريكاتوري).

كل ذلك يؤكد أهمية البلاغة بعلومها في تدبر القرآن، وأن التفسير المعتمد على البلاغة وأدواتها هو الأعمق أثرًا في التدبر المنهجي للمقاصد الدقيقة والمعاني القرآنية، وأنه لابد من الإلمام بقواعد هذا العلم لمعرفة ما يدل عليه التكرار، وما ينطوي عليه الحذف، وما يفيده التقديم، والتعريف والتنكير.. وغير ذلك مما يتصل بقواعده وفنونه.

- أن المسائل البلاغية في ميدانها التطبيقي وتربتها الخصبة - وأقصد بها البيان العالي : كلام الله ثم كلام المختار ﷺ، ثم نصوص الأدب العربي الرفيع شعره ونثره - هي أنضر وأزهى منها في كتب البلاغة النظرية التي تسوق القاعدة، ثم تضرب لها المثال والشاهد.

كما توصي بعقد مقارنات بالبناء التركيبي لآيات في سورة أخرى قامت بدفع صورة أخرى من صور الافتراء على النبي ﷺ كادعاء أن القرآن إفك افتراه، وأساطير الأولين كما في سورة الفرقان على سبيل المثال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ ﴾ صدق الله. ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ﴾ فإنه ولاشك سيكشف عن خصوصيات لكل تركيب بما يتناسب ومقصود السياق في كل سورة.

هذا ولله الحمد في الأولى والآخرة.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (ط : د)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بـ تفسير أبي السعود، لمحمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٠م.

٤. أسلوب القصر في القرآن الكريم – دراسة تحليلية بلاغية، نجاة محمد عبدالعزيز، رسالة تخصص (ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٨م.

٥. إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، (ت: د)

٦. الإعجاز البلاغي –دراسة تحليلية لمسائل أهل العلم، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة (ط، ت، د)

٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفي صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل، بيروت (ط، ت : د)

٩. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠. البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١١. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المسمى أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة.

١٢. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (ط، ت: د)

١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز أبادي، دار الباز، مكة المكرمة، المكتبة العصرية، بيروت (ط، ت: د)

١٤. البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكلٍ جديد من طريفٍ وتليد، عبدالرحمن بن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

١٥. البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل عباس، دار الفرقان، عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٦. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، الشيخ محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٧. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٨. التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١٩. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطيبي، ت : هادي الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

٢٠. تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم، د. محمد مريني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد ٣٤، ٢٠١٣م.

٢١. التفسير البياني، د.عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٢. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس (ط، ت : د)

٢٣. التناسب في تفسير الإمام الرازي – دراسة في أسرار الاقتران، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٤. التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية، منى النصر، بحث الدرجة العالية (دكتوراه) جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل (الدمام سابقًا) ١٤٢٣هـ

٢٥. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٦. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط، ت : د)

٢٧. التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م.

٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

٢٩. جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت (ط : د) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت : أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣١. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله الغماري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٢. الخصائص، ابن جني، دار الكتاب العربي، بيروت (ط، ت: د)

٣٣. خصائص التراكيب، د.محمد أبو موسى – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٣٤. دراسات جديدة في إعجاز القرآن – مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٣٥. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٣٦. دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ت : محمود شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٣٧. دلالات التراكيب، أ. د محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م.

٣٩. الصرف العربي أحكام ومعانٍ – كتاب منهجي يجمع بين الأحكام الصرفية ومعاني الأبنية، محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٤٠. العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، د. محمود توفيق سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، المكتبة الشاملة (كتاب آلي)

٤١. علاقة المطالع بالمقاصد (دراسة بلاغية نظرية تطبيقية) إبراهيم الهدهد، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ -٢٠١١م.

٤٢. علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، نداء الحارثي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م

٤٣. علم البديع – دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٤. علم البديع وبلاغته في القرآن الكريم - دراسة تحليلية بلاغية لفن الموازنة في جزء تبارك، نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، وآخرون، الجامعة الإسلامية ماليزيا (باقي بيانات النشر : من دون)

٤٥. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٦. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت (ط، ت : د).

٤٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري، ضبطه وخرج أحاديثه، الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٩. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبي يحي زكريا الأنصاري، تحقيق : محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة ٢١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٥١. القرآن إعجازه وبلاغته، د. عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، د.ط، 1975م.

٥٢. القصر في سورة الأعراف دراسة بلاغية تحليلية، د. هند نايتة، مجلة كلية دار العلوم، العدد (٨٣)، جامعة القاهرة.

٥٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت (ط : د) ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٥٤. كشف المعاني في المتشابه المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تحقيق وتعليق : ناصر القطامي، مجموعة آيات للإعلام القرآني، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

٥٥. لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، مصر (ط، ت : د)

٥٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد العوفي، بدوي طبانة، دار الرفاعي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٧. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.

٥٨. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق : عبدالسلام هارون، اتحاد الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٩. معاني الأبنية، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦٠. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وشرحه : أ. نعيم زرور، دار الكتب العلمية – بيروت (ط : د)، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (ط : د)

٦٢. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق : سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٦٣. من أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٤. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤م

٦٥. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، أ.د.محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٦٦. من بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم، منى النصر، رسالة تخصص (ماجستير) جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل (الدمام سابقًا) قسم اللغة العربية، تخصص البلاغة والنقد، ١٤١٦هـ.

٦٧. النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، دارا القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
٦٩. النكت في إعجاز القرآن، لعلي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة (ت : د).

an-Nasr, Mona. Rhetoric of Quranic Composition According to Ibn al-Qayyim. Master's thesis, Imam Abdulrahman al-Faisal University (formerly Dammam), Department of Arabic Language, Rhetoric and Criticism, 1416 AH.

Darraz, Muhammad A. an-Naba' al-Azhim: New Visions in Quran. 3rd ed. Kuwait: Dara al-Qalam, 1988 AD.

al-Baqa'i, Ibrahim O. Nazhm ad-Durar fi Tanasub al-Ayat wa as-Suar. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1415 AH – 1994 AD.

al-Rummani, Ali I. an-Nukat fi I'ejaz al-Quran. Ed. Muhammad K. Ahmad and Muhammad Z. Salam. Cairo: Dar al-Ma'aref, n.d.

Ibn Jama'ah, Badr ad-Din. Kashf al-Ma'ani fi al-Mutashabeh al-Mathanin. Ed. Nasser al-Qatami. 1st ed. Ayat Group for Quranic Media, Saudi Arabia, Riyadh, 1432 AH – 2011 AD.

Ibn Manzhour. Lesan al-Arab. Egypt: Dar al-Ma'aref, n.d.

Ibn al-Athir, Dhya' ad-Din. al-Mathal as-Sa'er fi Adab al-Kateb wa ash-Sha'er. Ed. Ahmad al-Awfi and Badawi Tabanah. 2nd ed. Riyadh: Dar Refa'i, 140٤ AH -198٤ AD.

al-Suyuti, Jalal ad-Din. Marased al-Matale' fi Tanasub al-Maqate' wa al-Matale'. 2nd ed. Riyadh: Dar al-Menhaj, 1434 AH.

Ibn Faris. Mu'jam Maqyis al-Lughah. Ed. Abdussalam Haroun. Arab Writers Union, 1423 AH – 2002 AD.

al-Samurra'i, Fadhel. Ma'ani al-Abniyyah. 2nd ed. Jordan: Dar Ammar, 1428 AH -2007 AD.

al-Sakaki, Abu Yaqoub. Meftah al-Oloum. Ed. Na'im Zarour. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1403 AH -1983 AD.

al-Asfahani, al-Hussain M. al-Mufradat fi Gharib al-Quran. Ed. Muhammad S. Kilani. Beirut: Dar al-Ma'arefah, n.d.

al-Gurnati, Ahmad Z. Malak at-Ta'wil al-Qate' Bithawi al-Ilhad wa at-Ta'til fi Tawjih al-Mutashabeh al-Lafzh mn Ayi at-Tanzil. Ed. Saeed al-Falah. 1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1403 AH -1983 AD.

Abu Mousa, Muhammad. Mn Asrar at-Ta'bir al-Qurani: An Analytical Study of Surat al-Ahzab. 2nd ed. Wahbah Library, 1416 AH – 1996 AD.

al-Khudhari, Muhammad A. Mn Asrar Hurouf al-Jarr fi ath-Thekr al-Hakim. Cairo: Wahbah Library, 1994 AD.

as-Samil, Muhammad. Mn Balaqhat al-Mutashabeh al-Lafzhi fi al-Quran al-Karim. 1st ed. Riyadh: Dar Ishbilia, 1422 AH – 2001 AD.

Fayoud, Bassiouni. Science of al-Badie': Historical and Artistic Study of the Fundamentals of Rhetoric and Issues of al-Badie'. 3rd ed. Cairo: al-Mukhtar Foundation, 1434 AH – 2013 AD.

Hussein, Nasr ad-Din I. et al. Science of al-Badie' and its Rhetoric in Quran: Analytical Rhetorical Study of the Rhyme in Surat Tabarak. Islamic University of Malaysia, n.d.

Fayoud, Bassiouni. al-Bayan Science: Analytical Study of the Issues of al-Bayan. 3rd ed. Cairo: al-Mukhtar Foundation, 1434 AH – 2013 AD.

Fayoud, Bassiouni. Semantics: A Rhetorical and Critical Study of Semantic Issues. 2nd ed. al-Mukhtar Foundation, 1425 AH – 2004 AD.

al-Qairwani, Ibn Rashiq. al-Omdah fi Mahasen ash-She'r wa Adabeh. Ed. Muhammad M. Abdulhamid. Beirut: Dar al-Jil, n.d.

an-Nisabouri, al-ZHassan M. Ghara'eb al-Quran wa Ragha'eb al-Furqan. Ed. Zakaria Omairat. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1426 AH – 1996 AD.

al-Ansari, Zakaria. Fat'h ar-Rahman bi Kashf ma Yaltabes fi al-Quran. Ed. Muhammad A. as-Sabouni. 1st ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1405 AH – 1985 AD.

Sayyid Qutb. Fi Zhelal al-Quran. 21st ed. Dar al-Shorouq, 1414 AH – 1993 AD.

Hussain, Abdlqader. Quran: Miracle and Rhetoric. Cairo: an-Namouthejiyyah Press, 1975 AD.

Nayita, Hind. Determining Style in Surat al-A'raf: An Analytical Rhetorical Study. Journal of the Faculty of Dar al-Uloum, Cairo University, No.83.

az-Zamakhshari, Mahmoud O. al-Kash'shaf 'an Haqa'eq at-Tanzil wa Oyoun al-Aqawil fi Wjouh at-Ta'wil. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1387 AH – 1968 AD.

al-Muta'ani, Abdulazhim. New Studies in the Inimitability (I'ejaz) al-Quran: Applied Approaches to the Use of Language. 2nd ed. Wahbah Library, 1435 AH -2014 AD.

al-Eskafi, al-Khatib. Durrat at-Tanzil wa Ghurrat at-Ta'wil fi Bayan al-Ayat al-Mutashabehat fi Ketab Allah al-Aziz. 2nd ed. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1977 AD.

al-Jurjani, Abdulqaher. Dala'el al-I'ejaz. Ed. Mahmoud Shaker. 3rd ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1413 AH – 1992 AD.

Abu Mousa, Muhammad. Dalalat at-Tarkib. 2nd ed. Cairo: Wahbah Library, 1408 AH – 1987 AD.

al-Baghdadi, al-Alusi. Rouh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-Azhim wa as-Sabe' al-Mathani. 4th ed. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 1405 AH – 1986 AD.

al-Samurra'i, Muhammad F. Arabic Morphology: Rules and Meanings: A Methodical Book Combining the Morphological Rules and the Meanings of Structures. 1st ed. Beirut: Dar Ibn Kathir, 1434 AH – 1987 AD.

Saad, Mahmoud T. al-Azf 'ala Anwar ath-Thekr: Ma'alem at-Tariq ela Fiqh al-Ma'ana al-Qurani fi Seyaq as-Surah. 1st ed. al-Maktabah ash-Shamelah (digital book), 1424 AH.

al-Hudhud, Ibrahim. Elaqat al-Matale' bi al-Maqased (Rhetorical Theoretical Applied Study). 1st ed. Cairo: al-Iman Library, 1432 AH – 2011 AD.

al-Harethi, Neda. Elaqat al-Matale' bi al-Maqased wa Mawaqe'uha fi She'r ash-Shu'ara' al-Arba'ah al-Kebar. 1st ed. Cairo: Wahbah Library, 1436 AH – 2015 AD.

The Science of Budaiya - Historical and Technical Study of the Foundations of al-Badia and al-Budaiya Issues, d. BassiouniConstraints,al-Mukhtar Foundation Cairo, Third Edition, 1434h-2013m.

Ashour, Taher. Tafsir at-Tahrir wa at-Tanwir. Tunisia: ad-Dar at-Tunesiyyah.

at-Tanasub fi Tafsir al-Imam ar-Razi: Derasah fi Asrar al-Iqteran. 1st ed. Cairo: Wahbah Library, 1431 AH – 2010 AD.

an-Nasr, Mona. Matching in Quran: Rhetoric Forms and Secrets. Ph.D. dissertation, Imam Abdulrahman al-Faisal University (formerly Dammam), 1423 AH.

Ibn Kathir. Tafsir al-Quran al-Azhim. 2nd ed. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1407 AH -1987 AD.

ar-Razi, al-Fakhr. at-Tafsir al-Kabir. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, n.d.

al-Quzwini, al-Khatib. at-Talkhis fi 'Uloum al-Balaghah. 1st ed. Dar al-Fekr al-Arabi, 1904 AD.

al-Sa'adi, Abdulrahman. Taysir al-Karim ar-Rahman fi Tafsir Kalam al-Manan. 1st ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1408 AH – 1987 AD.

at-Tabari, Ibn Jarir. Jame' al-Bayan fi Tafsir al-Quran. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1403 AH – 1983 AD.

al-Qurtubi. al-Jame' li Ahkam al-Quran. Ed. Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Mesriyyah, 1384 AH – 1964 AD.

al-Ghammari, Abdullah. Jawaher al-Bayan fi Tanasub Suar al-Quran. 2nd ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1406 AH – 1986 AD.

Ibn Jenni. al-Khasa'es. Beirut: Dar al-Ketab al-Arabi, n.d.

Abu Mousa, Muhammad. Characteristics of structures: An Analytical Study of the Issues of Semantics. 8th ed. Cairo: Wahbah Library, 1430 AH – 2009 AD.

al-Karmani, Mahmoud H. al-Burhan fi Tawjih Mutashabeh al-Quran li-ma Fihi mn al-Hujjah wa al-Bayan: Asrar at-Tekrar fi al-Quran. Ed. Abdulqader A. Atta. Cairo: Dar al-Fadhilah. n.d.

az-Zarkashi. al-Burhan fi 'Uloum al-Quran. Ed. Muhammad A. Ibrahim. Cairo: Dar at-Turath, n.d.

al-Fayrouz Abadi, Majd ad-Din. Basa'er Thawi at-Tamiyez fi Lata'ef al-Ketab al-Aziz. Makkah al-Mukarramah: Dar al-Baz, Beirut: al-Maktabah al-'Asriyyah, n.d.

al-Maidani, Abdulrahman H. Arab Rhetoric: Foundations, Sciences, Arts and Forms of its Applications with a New Structure of Tarif and Talid. 1st ed. Damascus: Dar al-Qalam, 1416 AH – 1996 AD.

Abbas, Fadhl. Rhetoric: Arts and Artists. 2nd ed. Amman: Dar al-Furqan, 1409 AH -1989 AD.

al-Andalusi, Abu Hayyan. Tafsir al-Bahr al-Muhit. Ed. Adel Abdulmawjoud, Sheikh Muhammad Awadh et al. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1413 AH – 1993 AD.

Ibn Qutaibah. Ta'wil Mushkel al-Quran. 2nd ed. Cairo: Dar at-Turath, 1405 AH – 1985 AD.

al-Jawziyyah, Ibn Qayyim. at-Tebyan fi Aqsam al-Quran. Lebanon, Beirut: Dar al-Kuttab al-'Elmiyyah, 1402 AH – 1982 AD.

al-Tibi, Sharaf al-Din. at-Tebyan fi 'Elm al-Ma'ani wa al-Badie' wa al-Bayan. Ed. Hadi al-Hilali. 1st ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1407 AH – 1987 AD.

Marini, Muhammad. A linguistic Stylistic Analysis of al-Qalam Sura. Annals of Arts and Social Science, Kuwait. Vol. 34, 2013 AD.

Abdulrahman, Aisha. at-Tafsir al-Bayani. 4th ed. Egypt: Dar al-Ma'aref. 1394 AH -1974 AD.

List of References:
Works cited

as-Suyuti, Jala ad-Din. al-Itqan fi 'Uloum al-Qur'an. Ed. Muhammad A. Ibrahim. Beirut: al-Maktabah al-'Asriyyah, 1408 AH – 1988 AD.

al-Emadi, Muhammad. Tafsir Abi as-Su'oud: Irshad al-Aql as-Salim ela Mazaya al-Quran al-Karim. 2nd ed. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 1411 AH – 1990 AD.

al-Jarjani, Abdulqaher. Asrar al-Balaghah. Ed. Mahmoud Shaker. İst ed. Cairo: al-Madani Press, 141٤ AH -199٤ AD.

Abdulaziz: Najat M. Determining Style in the Holy Quran: Analytical Rhetorical Study. Master's thesis, Faculty of Arabic Language, Omdurman Islamic University, ١٩٨٨ AD.

al-Baqalani. I'ejaz al-Quran. Ed. as-Saiyyed A. Saqr. 3rd ed. Cairo: Dar al-Ma'aref, n.d.

Abu Musa, Muhammad. al-I'ejaz al-Balaghi: Analytical Study of the Issues of the Scholars. Cairo: Wahbah Library, n.d.

al-Rafi'i, Mustafa S. I'ejaz al-Quran wa al-Balaghah an-Nabawiyyah. 8th ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1990 AD.

al-Baidhawi. Tafsir al-Baidhawi: Anwar at-Tanzil wa Asrar at-Ta'wil. Beiru: Dar al-Jil, n.d.

al-Qazwini, al-Khatib. al-Idhah fi Uloum al-Balaghah. Ed. Muhammad A. Khafaji. Cairo: al-Maktabah al-Azhariyyah, 1413 AH – 1993 AD.

al-Gurnati, Ahmad Z. al-Burhan fi Tanasub Swar al-Quran. Ed. Saeed J. al-Falah. 1st ed. Dar Ibn al-Jawzi, 1428 AH.

Allah's Care and Praise of His Prophet: A Study of the Structural Construction of Surat "AlQalam"

Dr. Muna bint Fahd Al-Nasr
Department of Arabic
College of Arts
University of Abdulrrahman bin Faisal

Abstract:

This study examines the relationship between the structural construction of the Sura entitled AlQalam from the rhetorical rule that says that the style or linguistic structure of a text is manifested in the meaning, purposes, and ideas skillfully cast in appropriate linguistic formulae by the writer. Additionally, the aesthetics of literary work does not lie in its diction, but in the search for grammatical meaning that suits the purpose which has the lead as Al-Jurjani said, and in mainly depending on the kind of proportionate balance between the linguistic construction of the Quranic Sura and its purpose according to the proportionate theory established by Al-Buqa'I, a theory which asserts that each part of the Sura is chosen because of its tight relation to the Sura as a Whole. The research endeavors to identify aspects of this remarkable proportionate balance between the structures of the Sura and its meaning. The researcher maintains that the relationship is clarified through featuring the style, formulation, characteristics of the composition, and niceties of the structure. It has also been shown how the fifty-two verses in this Sura have proportionate performance of the succinct coordination and miraculous composition, as it is always the case with the Holy Quran.